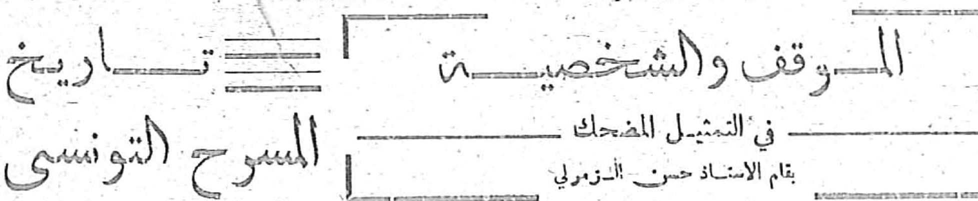


الأدبيـــة

(انظر التفاصيل في صفحة ٢)

هـذا العـــدد :

١٢ صفحة ـ ١٠ فرنكات



الموقف والشخصية

في التمثيل المضحك

بقلم الاستاذ حسن الزمرلي

يتكون الموقف في المسرحية عموما من تصادم بين عاملين متناقضين يعسر على الشخص اختيار احدهما لتعادل اهميتهما بالنسبة اليه فيحدثان بطبيعة الحال في نفسه صراعا يكون فاجعا اذا اخذت ارادته تقاوم الطبيعة او المصير او ارادة اخرى في موضوع جدي ويكون هزليا اذا اخذت تلك الارادة « تصول ضد غريزة دنيئة او ضد وهم احمق او ضد الاصطلاحات الرائجة او ما يراه المجتمع لائقا »

هذا تفسير عام مبهم كغيره من التفاسير تنهى مهمة تاويله وتطبيقه الى عناية المؤلف وعبقريته.

اما الذي يهمنا منه في دراستنا هذه فهو بيان الموقف المضحك فهو ينشأ عن اضطراب الشخص في تفضيل احدى الحالتين على الاخرى مثل ذلك المسكين الذي ترك له والده ثروة طائلة واشترط عليه في وصيته ان لا يتمتع بها الا بعد زواجه بابنة عمه. وبما ان الشاب لا يحب ابنة عمه لانه لم يرها في حياته ولو مرة واحدة. لقاصيها عنه في بلاد اخرى. وبما انه يحب فتاة اخرى تعرف بها في احدى تنقلاته ويصعب عليه ايضا نيلها لان وليها قرر تزويجها برجل من ذوي الوجاهة يتمنى بفضله التوصل الى بلوغ غاية دنيوية حصل من ذلك الارتباك والتصادم المضحكان. اذ اصبح الشاب يتقلب بين عاملين لا يقل الواحد منهما اهمية عن الآخر: اما ان يتخلى عن حبيبته ويجعلها متعة لخصمه الشيخ القبيح الخلق والخلق ـ ويتزوج هو بدوره امرأة لا يحبها وهكذا يتمتع بثروة ابيه. واما ان يجد في نفسه الشجاعة الكافية لالغاء الثروة وحياة البحبحة ليميل مع هواه ويقتحم المشاق حتى يفتك حبيبته من مخالب خصمه ويرضى بعد ذلك بحياة الفقر وما يتجرعها من اهانات في المجتمع

ولكن رحم الله الفكر النير الذي اخترع المفاجأة المسرحية حتى تمكن المؤلف من حل المشكلة على الصورة المرضية التي تعجب المتفرجين وذلك باحضار شخص اجنبي عن المعركة ليميط اللثام عن حقيقة البنت المحبوبة والخصم المكروه الممقوت فيظهر للعيان انها هي ابنة العم الموصى بها وان الخصم خالها فتنصرف من وجه بطلنا العقبات ويصفو له الجو وتحلو له الحياة.

فموقف الشاب بالنسبة لثروته الهاربة من جهة وموقف ولي البنت الطموح القاسي من جهة اخرى وموقف الخصم المتمسك باذيال الشباب والغرام بالرغم عن تقدم سنه كلها مضحكة لانها تدل عن صراع شديد مستمر بين الفضيلة والرذيلة، بين تعلق القلب وحب المال، بين الرصانة والجنون بين القناعة والطمع، بين العقل السديد والشهوات البهيمية.

وهكذا نتوصل الى معرفة شخصيات مختلف ابطال الرواية.

فالشخصية ـ على عكس العناصر الاخرى التي استعرضناها في هذه الدراسة ـ تدرك ولا تظهر للعيان ولهذا السبب فان المسرحية تزداد قيمتها الادبية والفكرية بقدر ما تعاون العناصر الاخرى من حركة واشارة وكلام وموقف على ابرازها للخواطر واظهار خفاياها للافكار اليقظة.

❖

يسهل علينا الآن. بعد هذه البسطة الوجيزة. ان نحدد مراتب ووسائل الاضحاك المتعارفة بالنسبة للمسرحية من حيث قيمتها الادبية فنقول:

« ان قيمة الضحك ترتفع بارتفاع الاسباب التي استوجبته. وبقدر ما تكون تلك الاسباب مستمدة من اقيسة فكرية. اجتماعية او اخلاقية،

فلاشك ان رقصات « الزنوج المجدوبة ». وتصنعات « الكلون » المركوبة تضحك جميع مشاهديها للمرة الاولى. ولكن العاقل الرشيد والمثقف ذا الراي السديد يندمان بعد مدة وجيزة على ضحكهما لانهما لا يجدان له سببا منطقيا ولا عاملا فكريا ويقران في نفسهما انهما ضحكا من دون سبب ولمشاهدتهما شيئا غير اعتيادي. خاليا من كل جمال فني واذا اتفق ان تعاد امامهما نفس المسخرة فانها لا تحرك فيهما ساكنا ولا تلفت نظريهما لا قليلا ولا كثيرا

كما لا نراهما يعيران سمعهما او يعرفان باهتمامهما او يضحكان الا للمرة الاولى عند سماعهما تلك الجمل المضحكة في تراكيبها والخالية في معانيها والتي لا تفيد عن حالة نفسية او اخلاقية او اجتماعية. مثل التوريات الباردة والعبارات الفاحشة التي يستعملها السوقة في تعابيرهم ويدخلها صغار المؤلفين في رواياتهم سعيا وراء اضحاك العوام

ولكنك تراهما يضحكان طويلا كلما اعيد امامهما منظر يدل في ضمن الحركات والاشارات والكلام والموقف على حالة نفسانية عميقة وعلى صراع بين عاملين متباينين متضادين.

فدرجات التمثيل المضحك تبتدىء حينئذ بالحركة والاشارة ثم تنتقل الى الكلام فالموقف فالشخصية وقيمة هذا التمثيل تكون على نسبة ما يعيننا على فهم حقيقة شخصية غامضة او معنى فكرة قليلة الوضوح ومن المعلوم ان المؤلف لا يبلغ هذه الغاية الا اذا توصل ـ مع كشفه هذه الدقائق النفسانية والفكرية ـ الى اضحاكنا بالوسائل الموصلة الى ادراكها

وهذا التوازن غير القار بين تعمق الفكرة ووجود الموقف والنكتة والحركة والاشارة المضحكة هو السر الخفي الذي لا يدركه الا عباقرة المؤلفين.

حسن الزمرلي

تاريخ المسرح التونسي

بقية ما بصفحة ٣

تدعى طوبربو مينوس اي طبربة الصغيرة تفريقا لها وتمييزا عن طوبربو مايوس اي طبربة الكبيرة وهي بلدة رومانية اثارها بادية بجهة الفحص.

وتشرف على بلدة طبربة هضبة مستطيلة ممتدة من الشمال الى الجنوب في سفحها الجنوبي اثار رومانية قديمة. وفي الربوة المشرفة على تلك الاثار يوجد المسرح الروماني القديم (انظر عنه المجلة المذكورة سنة ١٩٢٨ ص ٤٩ وتيسو : جغرافية افريقيا الرومانية ج ٢ ص ٢٤٨)

٨ ـ انفيطياطر اوتيكا ـ اوتيكا اول مدينة فينيقية بتونس واقعة بين العاصمة وبنزرت في مكان يعرف اليوم بشاطر ويوجد على احدى ربى هذه المدينة القديمة مسرح طوله ١١٧ م. من الشمال الى الجنوب وعرضه ٩٨ م. (انظر عنه : تيسو ـ جغرافية افريقيا الرومانية ج ٢ ص ٧٣)

٩ ـ انفيطياطر اوشي ميوس ـ اوشي ميوس بلدة رومانية ظاهرة اثارها بمكان يقال له هنشير الدراس على مقربة من تبرسق ويوجد بهذه البلدة مسرح باد للعيان تحدث عنه م. بوانسو في رسالة عنوانها « منقوشات اوشي ميوس » ص ١٢، وتيسو في الكتاب المذكور ج ٢ ص ٣٥٦)

١٠ ـ انفيطياطر عين طنقة ـ عين طنقة اثار بلدة رومانية كانت تدعى توغنكه واقعة بين تستور وتبرسق. بها اثار كثيرة منها مسرح تحدث عنه م. بوانسو في الرسالة المذكورة والدكتور كرتون في كتابه عن اثار دقة الرومانية

١١ ـ انفيطياطر لمطة ـ لمطة بلدة بالساحل بين المنستير والمهدية كانت تدعى في العهد الروماني لبتيس مينور اي لمطة الصغرى تفريقا لها وتمييزا عن لبتيس مايور اي الكبرى وهي مدينة لبدة الواقعة بطرابلس الغرب. وبلمطة اثار رومانية منها المرسح الذي تحدث عنه تيسو في الكتاب المذكور ص ١٧١ فقال : « ان الاثار الوحيدة التي يمكن تبينها بلمطة هي مسرح دورته ٣٤٠ قدما وميدانه ٥٠ على ٣٢ وعلى هضبة بالقرب منه توجد بقايا بناية ضخمة قوية يسميها السكان « القصر » وهي لا شك اثار القلعة الفينيقية القديمة »

❖❖❖

تلك الانفيطياطرات. اما المسارح فهي :

مسرح لمطة ـ لمطة قرية من قرى الساحل على شاطىء البحر بين المنستير والمهدية. وهي التي سبق الكلام على انفيطياطرها. وقد كانت في الاول مدينة بونيقية ثم صارت مدينة رومانية شهيرة تعرف بـ « لبتيس مينور » كما قلنا.

ولا تزال اثار مسرح لمطة بادية للعيان وهو مستند الى هضبة تطل على البحر. لكن هذا المعلم الجميل يحتاج الى اجراء حفريات لنتمكن من تعرفه بالتدقيق (انظر عنه : مجلة الاثار التونسية سنة ١٩٠٥ ص ٢٧ ـ عطربن)

مسرح سيدي بو علي ـ على مقربة من سيدي بوعلي توجد اثار مدينة رومانية قديمة تسمى هنشير زمبرة. وتوجد بهذه الاثار بقايا الانفيطياطر الذي حدثناك عنه كما يوجد مسرح. ويحيط المسرح جدار مستطيل الشكل طوله ٢٤ م من الجنوب و٢١م من الشرق والجدار المنحني الذي كان يضم مدرج المسرح يسمح ٨م في سمك ١٣٠

وميدان المسرح له شكل ...

المتنبي

فتنة العصور

بقية ما بصفحة ٨

والكون يهتز لتوقيعه وقد خفت كل صوت غير صوته فلا تكاد تسمع الا قوله

ودع كل صوت دون صوتي فانني
انا الصائح المحكي والآخر الصدى

وقوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

هنا خفتت اصوات الشعراء واخذوا يتهامسون ويتسللون من الميدان منهزمين يلقون القول على عواهنه واخذت الهيبة تستولى على قلوبهم فان نطقوا نطقوا خلفا لا يحفل به وان سكتوا سكتوا على الم ممض وحزن فاجع . وغاية ما وصل الينا من قولهم السخيف المرذول :

اي فضل لشاعر يطلب الفضـ
ـل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا في الكوفة المـ
ـاء وحينا يبيع ماء المحيا

واكثروا من هذا الضرب . ورأى الرؤساء المنافسون لابي الطيب النافمون عليه ان شعراءهم لم يفعلوا شيئا وقيل لابي الطيب انهم اكثروا من شتمك فقال قد اجبتهم :

ارى المتشاعرين غروا بذمي
ومن ذا يحمد الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

جواب قاس ساحر ازداد الشعراء امامه انهزاما وهم في عصر كانوا يعدون فيه بالعشرات اذ لا يعزب عن الباحث ان ذلك العصر هو هو عصر الادب ونضوجه وخصبه وانتاجه اذ علم من التاريخ ان الادب يعلو كوكبه وتشرق شمسه في عصر التنافس وعصر المتنبي اشبه بعصور ملوك الطوائف بل هو عصر ملوك الطوائف اذ يقوم معز الدولة ببغداد وسيف الدولة بحلب وكافور الاخشيدي بمصر وقد تفرق الناس شيعا واحزابا كل رئيس مستهام بالدعاية صب بها يبذل الدر في سبيل اعلاء شانها ما دامت الدعاية تشد من سلطانه وتقوي من اعوانه وتجعل له ذكرا بين الناس وكل رئيس يجلب الى سوقه النافقة ويعمل ما في استطاعته للاعلان عن نفسه وهؤلاء الشعراء تقوم لهم دولة لم يرها الشعر في سائر الايام لكن روح ابي الطيب التهمت الجميع واخرست الجميع فكان استاذهم ومهما حاولوا التنقص منه او الكيد له افلت واخذ بداعبهم ضاحكا على الامهم ...

وضاقت خطة فخلصت منها
خلوص الخمر من نسج الفدام

وفارقت الحبيب بلا وداع
وودعت البلاد بلا سلام

فان امرض فما مرض اصطباري
وان احمم فما حم اعتزامي

(يتبع) محمد الهادي العامري

مدير المدرسة القرآنية العلمية بالـ...

تاريخ المسرح التونسي

(بقية ما بصفحة ٣)

في عمق ٦٫١٠م . ويتضح من هذا ان مسرح سيدي بو علي على جانب من الاهمية لا يستهان به مما يدل على غزارة العمران وارتفاع المستوى الثقافي في تلك العصور .

مسرح شمتو — نلخص هنا ما كتبه الاثري الفرنسي ج . تونان تحت عنوان « المسرح الروماني في شمتو » ونشره اولا بكشكول الاثار والتاريخ الذي تصدره المدرسة الفرنسية بروما ثم نشره على حدة بمدينة روما سنة ١٨٩٢ وهو رسالة في ١٠ ص

ومدينة شمتو الرومانية تقع على مقربة من نهر مجردة في الغرب من بلدة سوق الاربعاء عند الحد الجزائري على طريق غار الدماء

وكان الرومان يسمونها سيمتو فاسمها العربي لا يختلف عن اسمها الروماني الا اختلافا يسيرا . وهي احدى المدن الافريقية التي بقيت آثارها محفوظة احسن حفظ بحيث يمكن تعريف تخطيطها الاصلي . وتخطيطها العام يشبه زاوية كبرى اي حرف V لاطيني تشغل مقاطع الرخام الشهيرة رأسه الاصلي ويعتمد احد فرعيه على ضفة نهر مجردة والثاني على ضفة الوادي المالح وهو سيل يصب في مجردة على مقربة من المكان المعروف بقنطرة تراجان او جسر الامبراطور ترايانوس .

والمسرح الموجود بمدينة سمتو او شمتو يشغل نقطة الراس من الزاوية . ومما يجب ملاحظته ان المسارح اليونانية اما انها مستندة الى هضبة مثل مسرح ديونيزوس باثينة واما انها منقورة في صميم الصخر مثل مسرح سرقوسة بصقلية .

واما المسارح الرومانية فمنها ما هو مستند الى سفح جبل مثل مسرح اورانج بجنوب فرنسا او مسرح جميلة او تمغاد بالجزائر . ومنها ما هو منفرد بذاته ومبني من اساسه الى قمته راسه مثل مسرحي مارسلوس وبومبيوس بروما

والغريب ان مسرح شمتو ليس بمستند تمام الاستناد ولا بمنعزل كل الانعزال . وميدان اللعب به متجه من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي وطرفه الجنوبي الغربي مشرف مباشرة على ضفة النهر . وهذا امر يسترعي النظر . ولنا ان نتساءل لماذا يا ترى لم يستند هذا المسرح على الهضاب الممتدة بين ضلعي المدينة ؟ والجواب عن ذلك حسبما يتراءى لي هو ان سكان شمتو لم يشاؤوا ان يضايقوا أية مضايقة استثمار مقاطع الرخام الرفيع الموجودة بتلك الهضاب وهي من اشهر مقاطع الدنيا وانفسها . ويدلنا على ذلك انه لا يكاد يوجد اثر للمساكن بسفوح الهضاب لنفس السبب الذي ذكرنا وقد بني المسرح على ارض منحدرة بطبيعتها بعض الانحدار ناهيك ان الطاق الاعلى فقط من المدرج هو البارز وحده على الشوارع المجاورة

ومسرح شمتو معتدل الابعاد ليس بالكبير ولا الصغير . فطول ميدانه من طرفه الى طرفه الآخر ٢٩ مترا ومحلة جوقة الطرب (الاوركسترا) ذات شكل هلالي شعاعه ١٢ مترا . والمسرح كله عبارة عن نصف دائرة يفوق قطره اربعين مترا . وارفع درجة في الطاق الاعلى من المدرج تهيمن على الميدان بارتفاع ٢٫٥٠

والمدرج منقسم الى قسمين مختلفين . فمن محلة جوقة الطرب (الاوركسترا) الى منتصف المدرج توجد ست درجات مؤلفة من كعوب من الصخر موضوعة فوق بعضها بصفة تسمح للمتفرجين ان يجلسوا وان يضعوا ارجلهم على الدرجة التي دونهم مع وجود متسع كاف يسمح لغيرهم من المتفرجين ان يجلسوا على تلك الدرجة الثانية وهلم جرا على هذا القياس وعند هذا النصف الاول من المدرج يوجد رواق واقع تحت الدروج يطوف بنصف دائرة المسرح . واما القسم الثاني من المدرج فيبتدىء عند هذا الرواق وينتهي الى القمة وبها عشرة درجات على المنوال الذي ذكرنا معتمدة على اقباء مائلة

ومسرح شمتو مبني كله من الرخام . والسبب في ذلك ظاهر . وما كان من البناء عموديا مثل الدرج والجدران فانه من صناديق مربعة غير مصقولة واضحة الوانها بين الاحمر الحر والاصفر اليقق والبنفسجي الجلي والازرق الداكن . وما كان من البناء منحنيا مثل الاقباء والاقواس والمدمسات فانه من كسارة الرخام معقودة الى بعضها بجص نقي ابقى على صفاء الوان الرخام من الاصفر والاحمر والوردي والبنفسجي والازرق الداكن والاسود الجون

ومن اجل ما يوجد في هذا المسرح الفسيفساء البديعة التي فرشت بها قاعة جوقة الطرب (الاوركسترا) فهي مكونة من ترابيع ظفري من الرخام المستخرج من مقاطع شمتو تصور منه خطوط مستقيمة او منحنية او متوازية او عمودية في اجمل هندام هندسي . والوان الرخام غريبة وهي كناية عن طياقم كامل الالوان واصناف الالوان من الاصفر الداهش الى الاصفر التبني الى الاصفر الذهبي الى الوردي المشرق الى الوردي الفاتح الى الاحمر الواضح ثم الاحمر المرجاني ثم النارنجي ثم الاحمر الخزامي ثم البنفسجي ثم الازرق الداكن ثم الاسود الجون

فانت ترى من هذه العجالة ان مسرح شمتو هو تحفة من تحف الفن المعماري وآية من آيات الفن البنائي بالبلاد التونسية

(انظر عنه : ج . تونان : المسرح الروماني بشمتو — عطارين ٦٠٨٥ قسم الرسائل)

مسرح دقة — اطلال دقة الرومانية واقعة على ١١٠ كم من تونس على مسافة ٣ كم من الطريق المعبد المؤدي من تونس الى الكاف . وهي تبعد ستة كم عن بلدة تبرسق

ومن اجل آثار دقة مسرحها المحفوظ احسن حفظ حتى ان الكثير من الاجواق كانت تمثل به روايات فرنسية ذات موضوع روماني مثل بريتانيكوس واندروماك من تاليف راسين الروائي الفرنسي الشهير الذي كان يعيش في القرن السابع عشر

مسرح دقة له قطر يمسح ٦٣٫٥٠م وهو يحتوي على ثلاثة الاف متفرج . وهو من حيث موقعه وحالة حفظه يسبي عقول زائريه . (انظر عنه : الدكتور كرتون : دليل زائر دقة ، وله : دراسة عن مسرح دقة مجلة الالوستراسيون ٢٣ ديسمبر ١٨٩٣ ، وله : المسرح الروماني بدقة دراسة كاملة مفردة بالتاليف) (يتبع) عثمان الكعاك

مقتطفات من « افكار »

بقية ما بصفحة ٧

— ١٠ —

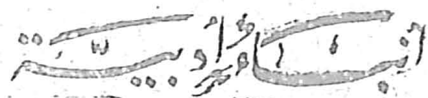
يفرح العنكبوت اذا اوقع ذبابا في غزله . وكذلك الناس . فهذا فرح بايقاع ارنب في فخه وذاك بايقاع سمكة وذاك الاخر بايقاع قوم من الاقوام . والكل بالنظر الى المبادىء قطاع طريق ، العنكبوت والناس .

— ١١ —

لو تاملت بامعان في كل شيء لاقررت بان كل ما يحدث في الدنيا عادل الحدوث . ولا اقول ذلك لمجرد اعتبار صدور الحوادث عن اسباب معلومة بل لان كل ما يحدث صادر عن سنن العدل من حيث انه ارادة موجود اعلى

— ١٢ —

قاعدتان ينبغي لك ان تجعلهما دوما نصب عينيك اولاهما ان لا تفعل مطلقا الا ما يامرك به العقل في سبيل نفع بني جلدتك — بحيث يكون العقل مطلق السلطان عليك متصرفا بالامر فيك . وثانيتهما ان ترضى بالتحول عن رايك اذا انارك مشير فاقنعك بترك رايك الاول .



بقية ما بصفحة ٢

ولا يزال عامة الناس يذكرون حتى الآن ما قاموا به في هذا الصدد من دراسات وبحوث قيمة أثناء اجتماعهم في السنة الماضية .

كل هذا يثلج الفؤاد ويبعث في النفس الثقة بمستقبل منير للعربية والاسلام في هذه الربوع . . .

(المباحث) تشارك

في القيام بالواجب...

. . . ولعل القراء لا يؤاخذوننا اذا نحن ذكرنا هنا ان مشيخة الجامع الاعظم م فتحت لطلبة سنة التحصيل هذه السنة دروسا في الرياضيات اسندت التدريس فيها لاثنين من محرري مجلتنا هما الاستاذان محمد السويسي والبشير توشة . ونحن لا نذكر هذا افتخارا ولا اشهارا لمجلتنا - قراؤنا يعلمون انا نكره ذلك انكارا وان خطتنا تحرمه علينا تحريما - بل نذكره على انه يشرف مجلتنا كل التشريف ان يكلف محرروها بالقيام بقسم من الواجب الشامل الملقى على عواتق رجالات هذه الامة . وما تشرفت قط اسرة هذه المجلة الا بالقيام بالواجب : نحو الفكر ونحو الامة ونحو العربية والاسلام .

مـــاذا يكتب...

١ - دراسات وبحوث :

هكذا ذكر منهائم - فصل في بيان بعض افكار م.اكس نورداو التشاؤمية بقلم ابي حيان في رصيفتنا الغراء الادب البيروتية . بولبوس قيصر وشكسبير . بقلم الدكتور نقولا فياض في الادب ايضا - التاريخ وفلسفته بقلم الدكتور محمد يحي الهاشمي في الادب ايضا - بين الشاعرية والنبوة . في تحليل حياة امية بن ابي الصلت الفكرية بقلم عبد اللطيف شرارة في مجلة الادب - يرمون عقولنا . في بيان اضرار غزو الثقافات الاجنبية الثقافة القومية . بقلم بهيج عثمان في الادب ايضا - القومية تعبر عن الشخصية بقلم م ع ف ش في الادب ايضا - الثنائية مظلة الضدية . بحث لغوي في الاضداد في اللغة العربية . بقلم الاب مرمرجي الدومنكي في الادب ايضا - الفن التمثيلي عندنا . بقلم سليم اللوزي رئيس قسم التمثيليات بمحطة الشرق الادنى للاذاعة العربية في نفس المجلة .

٢ - كتب ظهرت :

نظرات في الصيام . تأليف الحكيم شوكت موفق الشطي الاستاذ في معهد الطب . وهو كتاب تلقته رصيفتنا البيروتية « الجمهور » ان ملخصه يبحث فيه عن الصيام وماله من اثر في صحة الانسان ورقابته وشفائه مستندا في ذلك الى اختبارات العلماء وسنن الطبيعة ومقررات علم الصحة ودخائل فن الطب (نشر دار اليقظة - دمشق) - وحي الرافدين - الجزء الثاني - كتاب يستعرض فيه صاحبه كل ما عرف من احوال العراق الشقيقة ومن عرف من رجالاتها استعراضا يفيد معرفة شاملة بحالة بلاد الرافدين . تأليف الاستاذ محمد علي الحوماني (مطبعة الكشاف . بيروت) - مصر والشام في الغابر والحاضر . في بيان تاريخ العلاقات السياسية والعلاقات العلمية والادبية بين القطرين تأليف الدكتور اسعد اطلس (دار المعارف . مصر) - الفكرة الريفية . تأليف الاستاذ امين نخلة (الطبعة الثانية . دار الطباعة والنشر الشرقية . بيروت) . حرب الشعوب . مجموعة مقالات كتبها صاحبها في زمن الحرب الاخيرة وهي في مواضيع مختلفة اما تمجيد لبعض اعلام الحرية في هذه الحرب وبعض الامم التي ساهمت في انقاذ الانسانية من الدمار واما تعليق وشرح لتطورات الحرب واحداثها الكبرى . تأليف الاستاذ قدري قلعجي رئيس تحرير مجلة الطريق البيروتية (منشورات مجلة الطريق بيروت) - النهضة الادبية في لبنان . في تحليل النهضة الادبية في لبنان . تأليف الاب جبرائيل ابي صدى الفلسطيني (مطبعة دير المخلص ، صيدا) - على ضفاف دجلة والفرات . مجموعة قصص مسرحها العصر العباسي عدتها زميلتنا الادب باكورة ادب قصصي يجلو التاريخ ويحيي الحوادث . تأليف الاستاذ الطاهر الطناحي (دار المعارف . مصر) افراح الربيع . مجموعة شعر تأليف الاستاذ حسن البحيري الفلسطيني (القاهرة) - كهفان . قطع من الادب الحي كما تقول مجلة الادب عبرت في شعرها ونثرها عن الاماني القومية . تأليف الاستاذ حسن ديدان (منشورات دار النهضة . بيروت) مرايا الناس - مجموعة قصص عرفتها وحللتها زميلتنا الادب مادحة مطرية . من تآليف الاديبة اللبنانية القادرة السيدة وداد سكاكيني (لجنة النشر للجامعيين - القاهرة) - ما تبصر للاستاذ خليل السكاكيني الفلسطيني - الحرية مجموعة شعر : للاستاذ يوسف الخال (منشورات دار الكتاب ، بيروت) خفقات قلب مجموعة شعر للاستاذ ابراهيم يعقوب عوديا (مطبعة الرشيد بغداد)

٣ - كتب ستظهر :

اخبرت زميلتنا الادب ان الاستاذ عدنان الذهبي اعد كتابا لم يظهر بعد عن ابن خفاجة واته يقول انه الشعف عند ابن خفاجة رمزية ... تأثرها برمزية الشريف الرضي ورمزية المعري - كما نشرت نفس الزميلة فصلا تحت عنوان « ليلة جمنا .. » من كتاب « العائد » الجاهز للطبع من تأليف خليل تقي الدين

المدارس القرآنية ايضا ..

تحدثنا في عددنا الاخير عن المدارس القرآنية ووجوب مراعاة ادارة العلوم والمعارف عندنا الظروف الخاصة التي تجتازها والجهد التعليمي الكبير الذي تضطلع به هذه المدارس للتخفيف من وطأة الفصل القانوني القاضي باشتراط شهادة الكفاءة صناعية في المترشحين لادارتها . وقد بلغنا من مصدر موثوق به على اثر ذلك ان ادارة التعليم قررت منح المترشحين حق ادارة المدارس القرآنية بدون الشهادة المذكورة لكن بصفة وقتية فقط ترجئهم بها سنتين ليمكنهم الاستعداد لقضاء امتحان هذه الشهادة ، وبهذه الصورة تكون ادارة التعليم قد راعت ضرورة الطور الانتقالي الذي اشرنا اليه في عددنا الاخير ، ونحن يسرنا ان تظهر ادارة تعليمنا مثل هذا التفهم الرصين لما تقتضيه مصلحة العلم والتعليم في هذه البلاد وان تدل بفعلها هذا على انها تعلم حق العلم ان « الرجوع الى الحق فضيلة » ، ويسرنا نحن بالخصوص ان نهناها الى ما ظهر فيه الصواب والصلاح

طلبتنا في الكليات..

تمكن عدد وافر من شبابنا المثقف في هذه السنة وبالرغم عن الوان مختلفة من الصعوبات من الالتحاق بالكليات الفرنسية لمزاولة تعليمهم العالي ، وقد بدا عددهم عظيما جدا هذه المرة بالنسبة الى ما عهدنا في سني ما قبل الحرب . والحقيقة انه لم يبلغ ما بلغه الا من اجل تراكم خمسة او ستة اجيال من الطلبة هي الاجيال التي انهت تعلمها الثانوي في سني الحرب ولم تستطع مبارحة البلاد . ولا مزاولة اي تعليم عال فيها . اذ لا تزال بلادنا والحمد لله خالية من كل كلية وكل ما يشبه الكلية . وما دام التعليم الثانوي لا يخرج لنا من كامل البلاد الا عشرات معدودة من حاملي شهادة البكالوريا في كل سنة وما دام لا يتمادى منهم على الدراسة العليا الا من استطاعوا الى ذلك سبيلا فانه لم يحن لاي انسان بعد ان يستكثر عدد طلبتنا . والامم الساعية الى استرجاع الحياة قد لا يقبح بها الاستكثار - وحتى الافراط في الاستكثار - من الطلبة لانهم هم الذين سيكونون قوامين على تشييد هيكل كيانها في المستقبل تشييدا يجعلها في منعة عن جميع الغائلات .. وما استكثر عليك الخير الا عدوك

اصلاح غلط

اقرأ في العمود الـ ... من صفحة ٤ : نظرية ... السور - عوض ... السور نظرية ...

الى ادارة التعليم ايضا ...

سؤال بسيط نود عنه جواب بسيط ايضا . هل صحيح ان دروس فن التعليم او البيداجوجيا او البيداغوجيا كما يقول اهل الولوع بتجنيس اللغات ، - هل صحيح ان هذه الدروس ستلقى هذه السنة في مدرسة ترشيح معلمي العربية باللغة الفرنسية ؟

نحن نابى ان نصدق بمثل هذا وان تناقلته السن الناس ووصلت مجلتنا فيه - ونستبعد كل الاستبعاد ان تقدم ادارة التعليم عليه . لاسباب عديدة : منها اولا انه ينافي المنطق السليم ان يدرس مترشحون الى تعليم العربية فن صناعتهم بغير العربية . ومنها ان تدريس مثل هذه المادة لا يمكن وان كان نظريا بحتا ان يخلو من امثلة يستشهد بها الاستاذ ولسنا ندري كيف يتسنى له ان يستشهد بامثلة من دروس فرنسية لم من دروس عربية ؟ ومنها ان فن التعليم علم لم يقل احد انه خلق فرنسيا وانه ان لم تترجم فيه كتب او دراسات عندنا حتى الآن فنحن والحمد لله لا نعدم اساتذة قادرين على تأدية مثل هذه المادة بالعربية دون سابق ترجمة .. الا ان تكون ادارة معارفنا العزيزة تظن ان علم فن التعليم لم يتصف بالخبرة فيه عندنا الا اساتذة ختمهم السماوات برضاه فيه .. وكانوا من سوء الحظ يجهلون العربية .

ويقيننا ان ادارة التعليم تدرك انه لا يسوغ مثل هذا الانتقاص للعربية في معهد جعل لاعداد معلمي العربية وانها ستبادر بتكذيب هذا الخبر .. وان هي صدقته فستبادر بتبرير موقفها لنسكت ونبكت .

الى اخواننا المغاربة ..

نعلم حضرات الافاضل من اخواننا المغاربة الذين بلغتنا رغبتهم في الاشتراك في مجلتنا وارسلناها اليهم تبعا لتلك الرغبة انا - تسهيلا عليهم لعملية دفع معلوم اشتراكاتهم - سوف نرسل اليهم وصولات ذلك على طريق مصلحة البريد ونحن نشكرهم اجزل الشكر - كما نشكر عامة اخواننا المغاربة - على ما لا يزالون يظهرونه من عظيم المناصرة لمشروع مجلتنا الثقافي ومن مساعدة وتعزيز لجانب العربية وآدابها وعلومها في ربوع شمال افريقيا . وبمثل هذا يبقى المسلمون كالبنيان المرصوص ولمثل هذا فليعمل العاملون .

صاحب الامتياز محمود المسعدي

مطبعة الارادة تونس

جائزة الباحث الادبية

في الادب والفن والتاريخ والفلسفة

عشرة آلاف فرنك تمنح لافضل تأليف يقدم للمباراة

قضى على « الباحث » واجب تشجيع الادب الحي وواجب الوفاء للخطة التي رسمتها لنفسها في النهوض بالثقافة العربية الاسلامية في هذه الربوع بان تؤسس جائزة ادبية يتبارى فيها جميع الادباء من المشتركين في المجلة بكامل الشمال الافريقي . و « الباحث » [illegible] بواجبها هذا على الله اولا ثم على اهل العزم الصالح من قرائها ومحرريها [illegible] الاعراض عن مطالبة الغير او سؤاله .

وغير خفي ان هذه الجائزة - مع ضعف مقدارها المالي - انما يقصد بها عمل رمزي يرمي الى استنهاض الهمم في الشعب التونسي او الجزائري او المغربي حتى يتعود ابناء جلدتنا الاتكال على انفسهم في مشاريعهم ويحسنوا الاخلاص لها . ومن ناحية اخرى فان جائزتنا الادبية غايتها في ميدان الادب خاصة ان تساعد على الظهور الادباء والشعراء والمؤلفين الذين نتيقن ان عددهم في البلاد غير قليل ونعلم ايضا انهم غدوا فريسة للغبن لانهم لم يتخذوا الادب مهنة ومتجرا احتراما منهم للادب والفكر وشعورا ساميا بنبل رسالتهم فهم يأبون تعففا وحفظا للكرامة التزاحم مع الاقزام في مبازيات الجوائز الرسمية التي لا يراعى فيها في غالب الاحيان قيمة المؤلفات الادبية بل نزعات اصحابها وميولهم واخلاصهم لنظم الحكم السائد وما لهم من مسوغات اخرى لا تمت الى الادب او الفن بصلة .

ان جائزة « الباحث » لاستقلال مشربها ونزاهة موردها وحرية مسلكها تستنهض همم اولئك الكتاب وتدعوهم الى ابراز ثمرات قرائحهم لتعميم فائدتها بين الناطقين بالضاد ولخدمة سمعة اقطار الشمال الافريقي في نهضة الآداب العربية

ونحن موقنون بان انصار الادب الحق الذي ينهل من مناهل الحياة كثيرون وانهم لن يبخلوا على ابناء جلدتهم بما درت به قرائحهم من شعر او انتجته عقولهم من افكار او ابتكره خيالهم من قصص او روايات حتى يدرك القريب والنائي ان هذه البلاد ما زالت ولن تزال ان شاء الله التربة المباركة الخصبة التي انجبت امثال صاحب المدونة وابن رشيق وابن خلدون وابي القاسم الشابي .

وفوق جائزة « الباحث » المتواضعة جزاء القيام بالواجب العظيم . « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ... »

(المجلة)



شروط المباراة في الجائزة

المباراة في الجائزة مفتوحة لجميع الادباء من المشتركين في المجلة حسب القانون الآتي :

الفصل الاول - يشترط في المتبارين ان يكونوا من مسلمي شمال افريقيا وان لا يكونوا من اعضاء هيأة مجلة « الباحث »

الفصل الثاني - التآليف المقدمة للمباراة في الجائزة يجب ان تكون من احد الانواع الاربعة الآتية :

أ) ديوان شعر
ب) تاليف نثري من عمل الخيال (قصة او رواية - مسرحية)
ج) تاليف نثري علمي في الادب او الفلسفة او الفن او التاريخ ،
د) ترجمة لتأليف اجنبي

الفصل الثالث - يشترط في التآليف المقدمة :

أ) ان لا تكون قدمت لاي مباراة سابقة
ب) ان لا يكون مضى على طبعها اكثر من سنتين في موفى شهر ديسمبر ١٩٤٥ اذا كانت نشرت قبل .

الفصل الرابع - يجب على المتبارين ان يقدموا - نسخة واحدة من التاليف التي لم تنشر - خمس نسخ من التآليف المطبوعة .

الفصل الخامس - ترسل التآليف في لفة بريدية مضمونة الوصول باسم مجلة « الباحث » والى عنوانها : صندوق البريد عدد ٣١٩ تونس

ويجعل كل متبار مع تاليفه ظرفا يكتب عليه : جائزة الباحث الادبية . ويضع في داخله ورقة ويرسم فيها اسمه وعنوانه بكل وضوح - والاسم الحقيقي مع تذكير الاسم المستعار ان كان التاليف ممضى باسم من هذا النوع

الفصل السادس - آخر اجل لوصول المؤلفات يوم ٢٥ محرم ١٣٦٥ الموافق ليوم ٣١ ديسمبر ١٩٤٥ وما وصل منها بعد اليوم المذكور ينظر فيه الى تاريخ ختام البريد فيقبل ان كان ذلك التاريخ داخلا في حدود الاجل والا يرفض

الفصل السابع - تتالف اللجنة الحاكمة من نائب عن مجلة الباحث ومن ستة ادباء او شخصيات علمية

الفصل الثامن - تعلن نتيجة المباراة مع اسماء اعضاء اللجنة الحاكمة في عدد شهر جانفي ١٩٤٦ من « الباحث »

الفصل التاسع - التاليف الفائز تعطي المجلة لصاحبه جائزة قدرها عشرة الآف فرنك وتتولى نشره تباعا على صفحاتها ان كان لم ينشر وتحتفظ جميع حقوق تاليفه لمؤلفه.

الجوائز الادبية . . .

في نفس الوقت الذي تعلن فيه مجلتنا افتتاح المباراة في الجائزة التي اسستها يرد علينا من الشرق خبر تاسيس جمعية الكاتب المصري لجائزة ادبية ايضا ينتهي اجل تقديم التآليف اليها في موفى شهر سبتمبر ١٩٤٥ . وقد خصت جمعية الكاتب المصري بهذه الجائزة نوعا واحدا من انواع الادب رأت منفعة في تشجيعه الا وهو القصة القصيرة او الاقصوصة .

ونحن نرى في تجاوب الشرق والغرب واتفاقهما نية ونزعة وعملا خير دليل على تآلف الجهود من حيث ندري ولا ندري وخير ضامن لمستقبل الثقافة العربية الاسلامية للشملة حية قوية معترفا لها بحقوقها مقرا لها بجميلها

. . . انبـــاء ادبيـــة . . .

طور جديد في حياتنا الثقافية الشرقية نرجو ان يطوي الى الابد طورا غير بعيد كان لا يجد فيه المؤلفون ادنى عناية ولا اعانة وندعو الله ان يكون فيه بالعون والتوفيق لجميع العاملين الصالحين في سبيل رفع راية الحضارة الاسلامية .

الاصلاحات في الجامع الاعظم . . .

ما زلنا نرى منذ سنين نزعة الاصلاح في الجامع الاعظم تغلب شيئا فشيئا على نزعة الجمود المعهودة بها دار القرآن . ولئن نعزو انتصار النزعة الاصلاحية بعض آثارها الادارية في نظام التعليم بجامع الزيتونة المعمور وفي برامجه فذلك يجب ان يعزى قبل كل شيء الى حيوية الشعب التونسي عامة وشدة تعلقه بما يحفظ عليه ذاتيته ويشد من اسر كيانه ثم الى رجالاته العاملين الذين تفهموا كامل التفهم حقيقة هذا التيار الاصلاحي العظيم الذي يهز كامل الشعب التونسي هزا ويدفعه نحو الرقي دفعا لا يمكن ان يرده راد .

وقد قرأنا بلطف مما كتبنا في عددنا السابق في السنة الماضية مقدار خطورة الاصلاحات الزيتونية في حياتنا القومية .

وها قد مضت سنة على ذلك وجاءت اثناء العام اصلاحات متوالية نرجو ان يكون من ورائها للشعب التونسي نفع جزيل . وقد طلع علينا افتتاح السنة الدراسية الجديدة هذه السنة بتنظيمات للدروس وموازنات مضبوطة لحصص المواد وتغييرات في الكتب الدراسية تعرب كلها عن ارادة صادقة في تحسين التعليم الزيتوني من جميع نواحيه . هذا كله الى ما لاحظناه في خلال السنة الماضية عند مشائخ الجامع من اقبال شديد على الدرس الدقيق لوسائل التقدم بالزيتونة [illegible] من ناحية الكتب الدراسية والطرق الفنية في التعليم .

البقية على صفحة [illegible]

المباحث

مؤسسها : المرحوم محمد البشروش

الاشتراكات ترسل معلومها في حوالة بريدية باسم المجلة

الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر

المراسلات : تكون جميعا باسم رئيس قلم التحرير : المباحث - صندوق البريد عدد ٣٠٩ - تونس

(Al-Mabahith)
Case postale N° 309
Tunis

الاشتراك
- عن ١٢ عددا -
تونس . . . . ١٠٠ فرنك
شمال افريقيا ١٢٠ فرنكا
الخارج . . . ٢٠٠ فرنك
للطلبة . . . . ٨٠ فرنكا
Compte courant postal N°7329 Tunis

الى القارىء . . . . . .

أ ... قنا في هذه المجلة تقلب على وجوهها مشكلة المشاكل بالنسبة الينا معشر التونسيين خاصة ومعشر اهالي شمال افريقيا عامة الا وهي مشكلة الثقافة والتعليم .

وقد قول لقارىء . بالنظر الى مقال يجده في غير هذا المحل من هذا العدد . ان المسألة ليست خاصة بتونس ولا بشمال افريقيا بل هي مسألة اممية قد حركت سواكنها حوادث الحرب وما بعد الحرب . ولاشك انه من الحق ان هذه المشكلة اممية شاملة .ولكنه من الحق المبين ايضا انها بالنسبة الى الامم الساعية الى الفوز بحقها في الحياة اخطر بدرجات لاتعد .

ذلك ان الامم لاتستقيم لها حياة الا بمقدار ما يكون لها من الثقافة ثم بمقدار ما يكون لها من استقلال الذاتية وطراقة الشخصية في الميدان الثقافي شرطان في حياة الامم قد دلت القرون بعد القرون انه لا يتخلف احدهما الاقضي على الامة بالوحشة او الفناء في غيرها او الانقراض المطلق .

بل اعتبر من ناحية جميع الامم التي لم تبلغ حتى اليوم شيئا ما من الثقافة والحضارة ما شأنها في عالمنا الحاضر وماكان في الماضي وما سيكون في المستقبل ان هي لم ترتفع بواسطة الثقافة عن مستوى الحيوانية الناطقة . واعتبر ان القوى الكونية والسنن الطبيعية لا تحفل بالقبائل الوحشية اونصف الوحشية التي لا يزال بعضها على وجه الارض كالبثور وانها بين امرين : اما ان تبقى عند سائر البشر في صف الحيوان مسخرة ذاولة واما ان تسمو الى درجة الانسانية باندماج افرادها . ان استطاعوا - في غيرها من الامم وذلك شأن الكثير من قبائل افريقيا الوحشية .

ثم اعتبر من ناحية ثانية مصير الامم التي لم تعدم ثقافة وعلما ولكنها لم تبلغ فيهما من قوة الشخصية وكرم الذاتية ما يضمن لها مسايرة غيرها من الامم المتحضرة المثقفة بدون ان تضطر الى الخروج عن طبعها والتلبس بشخصية غيرها . وامثال هذه الامم كثيرة في التاريخ : منها ما غزتها الثقافة اللاتينية ومنها ايضا جميع الامم التي تعربت واسلمت بعد ان كانت رومية او يونانية او لاتينية . ولئن تغلبت الثقافة اللاتينية الغازية او الثقافة الاسلامية الفاتحة على تلك الامم وثقافاتها ولغاتها فما ذلك الا لانها كانت افضل منها واقوى واشد .

وفي هذا لنا من العبر ما يجب ان يعتبر .

فقد دار التاريخ دورته واصبحت ثقافتنا العربية في عالم الفولاذ والسرعة والنار في حاجة الى تعزيز مركزها والاخذ عن الامم الاجنبية لما يعوزها من اغذية القوة ووسائل مجاراة هذا العصر القاسي الشديد . وقد ادرك ذلك منذ القرن الماضي الشرق العربي كله وفي هذه البلاد امثال المرحوم الوزير خير الدين .

لكن . وهذا ما قصدنا اليه . لنحذر بلادنا والعاملون الصالحون فيها من الوقوع في احد امرين : الاول ان يظنوا ان الاخذ عن الثقافات الاجنبية وحده علاج كاف ناجع . فالمسألة قبل كل شيء مسألة هضم فكري للمواد الاجنبية المنقولة هضما يقلبها الى ما يلائم طبع الذاتية والشخصية العربية الاسلامية . والا كان النقل سلخا والاخذ فناء . والثاني ان يظنوا ان بقاء اللغة وحدها او التعصب للغة وحدها ضامن لاستقلال الذاتية ودوام طراقة الشخصية . لان اللغات وعاء اذا افرغ ذهب نفعه واطرح فهي لا تحيى الا بما تحمله من ثقافة وما تعبر عنه من حضارة . فلغتنا العربية في هذه البلاد لا تحيى الا بمقدار حياة ثقافتنا العربية الاسلامية خالصة الجوهر مجددة القوى .

والى ذلك فليعمل العاملون . . .

« الباحث »

بحـــوث علمية

الحصانة

اللقاح ومصلات العلاج والوقاية

بقلم الدكتور الصادق المقدم

ما شاهد الانسان منذ بدء الخليقة ان بعض الامراض تورث من اصيب بها منعة تجعله في مأمن من اصابة جديدة واراد الانسان ان يطلع على سر هذا الامر فكان عبثا ما حاول . وقصارى ما وصل اليه هو ان استعمل في مرض الجدري لقاحا مباشرا من المصاب الى الصحيح . ولم تكن هاته الطريقة خالية من الاخطار لانه عند استعمالها تنقل في نفس الوقت مع جراثيم المرض المطعم جراثيم اخرى فتاكة وخصوصا جرثومة مرض الزهري .واستمر استعمال هاته الطريقة الى القرن الثامن عشر م.

وفي هذا القرن اهتدى العالم الانكليزي جنر Jenner الى استعمال قيح جدري البقر (Cow - Pox) وشاهد انه يكسب من لقح به حصانة من مرض الجدري . وهي الطريقة المستعملة الى الآن للتلقيح ضد الجدري التي مكنتنا من القضاء على هذا الوباء الفتاك في قسم عظيم من المعمورة. ويعبر عن هذا التلقيح بالتلقيح المخالف

(البقية على صفحة ٥)

المشاكل العالمية الكبرى

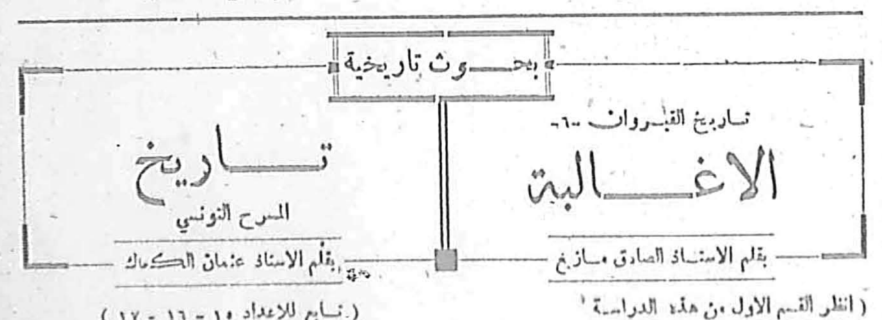
١ - التعليـــــم

بقلم الاستاذ ص . د . التلاتلي

لا يعيش الادب بمعزل عن العالم وشؤونه وما يجري فيه من الاحداث ولا ينعزل الشعر والفن نفسهما عما حولهما ولا يتعاميان عنه الا عرضت الثقافة الى عظيم الاخطار . وقد روى التاريخ ان البزنطيين كانوا يتجادلون عنيف الجدال في مسألة جنس الملائكة اهم من الذكور ام من الاناث ... والعدو على ابوابهم . وكذلك كان اواخر عرب الاندلس لما احاق بهم نفس الخطر يتلهون بالرقص والغناء . والذي ينبغي لنا نحن في عصر نرى العالم فيه ينزع ثوبه البالي ويستعد لارتداء ثوب جديد - هو ان نتجنب الوقوع فيما وقع فيه اهل بيزنطة او الاندلس من الانعزال الخطير . لذا رأت مجلتنا لزاما عليها ان تفتح نافذة صغيرة على العالم وتحاول البحث النزيه في بعض المشاكل الكبرى التي تشغل اذكاء الناس وفي وجوه حلها المتوقف عليها الى حد ما مستقبل السلم وتوازن الامم .

ولعل اهم تلك المشاكل مشكلة التعليم - فانه مما لا شك فيه ان التعليم والتربية كانا قبل الحرب الاخيرة واثناءها في جملة ما استخدمته الحكومات من الاسلحة . ومما لا شك

(البقية على صفحة ٩)



بحـــوث تاريخية

تاريخ القيروان -٦-

الاغـــالبة

بقلم الاستاذ الصادق مازيغ

(انظر القسم الاول من هذه الدراسة

في الاعداد : ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣)

تمهيد - اذا نحن تاملنا من المصادر القيروانية وهي كتب الطبقات التي بايدينا الفينا حظ القرن الثاني بها نزرا بالنظر الى حوادث التاريخ واحوال السياسة والاجتماع اما اذا انتقلنا الى القرن الثالث الذي يوافق العصر

(البقية على صفحة ٦)

تـــاريخ

المسرح التونسي

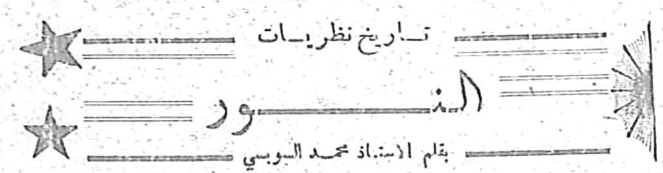
بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

(تابع للاعداد ١٥ - ١٦ - ١٧)

٦ - انفيلياطر راس الديماس - راس الديماس او تابسوس - موقع قرية رومانية واقعة بين المنستير والمهدية ويوجد بها مسرح وقلعة آثارهما ظاهرة (انظر عنه المجلة المذكورة سنة ١٩٠٢ ص ٤٩)

٧ - انفيلياطر طبربة - طبربة قرية اندلسية واقعة باحواز الحاضرة التونسية مبنية على القاني بلدة رومانية

(البقية على صفحة ١٠)



تاريخ نظريات النور

بقلم الاستاذ محمد السويسي

النور.. النور الذي ما من مخلوق الا وهو عنده اجل نعم الله عليه. النور الذي بفضله تبصر وتهتدي في حياتك... هل تدري ان العلم لا يزال حتى الآن يتقلب في شأنه بين نظرية واخرى دون ان يصل الى تحقيق كنهه تحقيقا نهائيا لا يشوبه ريب ؟

« لا تموت النظرية حتف انفها لضعف في مراجعها او لشيخوختها بل لا بد ان تقتل قتلا تقتلها نظرية اخرى. فلا تعزل نظرية الا اذا قامت نظرية اخرى فورثت عرشها. ومتى لم يوجد لها وارث بقي العلم محتفظا بها وان اعترضتها عقبات وتعددت عليها في حل المشاكل الخيبات ... »

(ميرسون)

نحن في حاجة فكرية حيوية الى نظريات تعيننا على فهم اسرار الطبيعة ولا يتصور امكان الحياة للانسان بدون صورة يتصورها من الواقع ولكن كنه الواقع مستعص - في البعض على الاقل - عن قدرة العقل البشري. اذا كانت مبدئيا كل صورة نتصورها من الواقع غير مطابقة له كل المطابقة واذا كانت كل نظرية من النظريات العامة التي تسود مدة من الزمن في ناحية من نواحي العلم البشري مضطرة اضطرارا الى اهمال ما لايمكن تفسيره من الحوادث وما يعترض على مبادئها ويقف عقبة في وجه تفاسيرها.

ومن اجلى ما يتضح فيه ما اسلفنا من لزوم النظريات علم النور وتاريخه. فقد سادت فيه بالتداول والتعاقب او التعاصر مدة ثلاث نظريات لكل منها مشايعون يناصرونها وينشرون رايتها.

ما هو النور ؟

... ويسألونك عن النور فقل ان شئت هو ما ذهب اليه نيوطن: اسراب من اجرام صغيرة يرسلها النار. وتلك نظرية الاصدار. او قل ان شئت هو كما قال فرينال Fresnel تموجات اوسط خيالي يداخل كل مخلوق وهو الاثير. وهذه نظرية التموجات الكهربائية المغناطيسية. او اذهب فيه ان شئت مذهب معاصرينا من الطبيعيين جامعا بين النظريتين السابقتين وقل انه اجرام صغيرة متموجة ...

١) نظرية الاصدار

Théorie de l'émission

كتب نيوطن على نفسه ان يعرض في وراء الطبيعة بصلة وعن جميع البحوث المتعلقة بكنه المادة واصلها ومآلها. وهو القائل: « ايتها دراسة الطبيعة عن كل ما يمت الى وراء الطبيعة حذار مما وراء الطبيعة » ... لكن العبقرية كثيرا ما تتغلب على جميع ما تحتاج الى تقييد نفسها به من القوانين حتى تسلك طريقة واحدة مضبوطة في البحث العلمي والتفتيش عن اسرار الكون.

فهذا نيوطن نفسه - على اخذه بمبدأ تجنب مسائل ما وراء الطبيعة كمسألة كنه المادة واصلها - هو ابو نظرية الجاذبية العالمية وهو واضع النظرية المشهورة نظرية الاصدار في علم النور. وهي النظرية التي تم بفضلها تفسير سير النور على خط الاستقامة وناموس الانعكاس reflexion وقاعدة الانكسار النوري réfraction

فاما سير النور على خط مستقيم فيب ان الشمس ترسل كل لحظة والى كل الجهات مقدارا جما من القواذف فتصيب العين الباصرة ومن الطبيعي ان نفكر ان هذه الذرات السائرة تتبع طريقا مستقيما اذ لا مؤثر عليها يميل بها ذات اليمين او ذات الشمال. وهذا ما قال به نيوطن. على انه لم يكن في الحقيقة اول من قال به على الاطلاق بل كان في ذلك متبعا لامثال ديموقريطس اليوناني ولوكراس الشاعر اللاتيني في كتابه « طبيعة الاشياء » من علماء العصور الخالية. وكانوا اعتمدوا في وضع نظريتهم على صورة اشعة الشمس داخل الغرفة وعلى ما يشاهد من عكس الصور في الغرفة السوداء التي ذكرها اقليدس قبل الميلاد بثلاثة قرون والتي ادخل عليها الطبيعي العربي الحسن المغربي تحسينات لا باس بها، وللحسن هذا كتب قيمة في علم النور ومسائل خاصة به منها مسألة المشهورة في مطابقة موقع صورة الشيء لموقع الشيء بعد انعكاسين على المرايا الكروية

ومن اليسير طبق نظرية سير النور على خط مستقيم هذه تفسير قانون انعكاس الاشعة النورية على صفحة المرايا السطحية وما يلاحظ من مساواة زاوية السقوط angle d'incidence لزاوية الانعكاس angle de reflexion وحسبك في هذا مشاهدة ما يحدث عند القائك كرة على مكان سطحي من الارض مثلا فانت ترى الكرة اذا لمست سطح الارض انعكست ورجعت الى الفضاء مكونة مع الارض زاوية مساوية لعين الزاوية المكونة عند نزولها بحيث اذا القيتها عموديا من فوق رجعت عموديا من اسفل واذا القيتها يمينا من فوق ارتفعت شمالا من اسفل.

اما ناموس الانكسار النوري فينبغي في تفسيره حسب هذه النظرية ان نفكر ان الاجسام الشفافة مكونة من هباءات بينها فضاء فارغ لاشيء فيه فاذا جاء النور واراد المرور من خلال جسم من هذه الاجسام ازدحمت ذراته في الفضاء المذكور مائلة عن مجراها الاول ميلانا يختلف مقداره بحسب قوة معارضة الوسط لمرور النور وبحسب قوة جاذبية الهباءات لذرات النور فيحدث بذلك في خط سير النور انكسار.

تلك هي نظرية نيوطن وذلك ما نتج عنها من تفسير للمرئيات الطبيعية. وقد كان تقرير نيوطن لها في سنة ١٧٠٤ م ثم شاع امرها بين العلماء وسادت في علم النور ونواميسه وعدد نيوطن التجارب فطابقت نظريته. ومن هذه التجارب تمكن نيوطن من تفكيك النور الابيض الطبيعي الى اجزائه اللونية وهي التي من الاحمر الى البنفسجي وتجتمع في صورة قوس قزح الجميلة. وقد قام بهذه التجربة الدليل على ان الاشعة الملونة كامنة في النور الابيض كمون النار في الزناد.

نظرية فرينال Fresnel

وماكسوال Maxwell

لم تزل نظرية نيوطن من يوم تقرير صاحبها لها تعترضها العقبات بعد العقبات. وقد اعترض صاحبها نفسه اصعب هذه العقبات واشدها مقاومة لنظريته اذ اخذ عدسة من بلور ووضعها على لوحة بلورية ايضا وارسل على هذا الجهاز اشعة نورية فشاهد عدة حلقات مركزها واحد واولاها سوداء وسائرها ملونات وهي المشهورة باسم حلقات نيوطن Anneaux de Newton. فوقف نيوطن حائرا وعلم ان نظريته في خطر.

واول من ذهب الى غيرها وخالفه في الراي العالم الانكليزي يونغ Young وهو القائل: لو رميت في ماء بركة هادئة بحجارة للاحظت تكون حلقات متموجة مركزها موقع الحجارة وهذا ما يحدث في عالم النور. فاضاءة المنار يرتج وسط خيالي ندعوه الاثير وتتكون فيه دائرات صغيرة سرعان ما تنتشر في الفضاء..

فهب مثلا نقطتين منيرتين ترسلان اشعتهما معا في الفضاء، فان موجاتهما تصل الى نقطة معلومة مع تفاوت في الوقت فيتكون منهما ما يتكون على سطح الماء لو تقر عند نقطتين بعودين مثلا فانك تشاهد حول كل عود تاثر دائرات تتموج فاذا التقى مجموع الدائرات الاولى بالثانية قوي مفعولها عند نقط معينة فتكونت فيها قمم امواج وتلاشى مفعول هذه وتلك عند نقط اخرى فتنور الماء عندها.

وهذا عين ما نشاهده من وراء قطعة كاغذ نثقب فيه ثقبان صغيران جدا اذ نرى في الفضاء دائرات سودا ودائرات نيرة تقوى عندها النور المرسل من الثقبين.

وقد جاء فرينال بعد يونغ هذا وعمد الى تدقيق ما ذهب اليه يونغ بقواعد حسابية وهندسية حتمية فامكنه بذلك ضبط القيس النظري لشعاع كل من الدائرات فاذا هو مطابق للتجربة. على ان فرينال قد عمل تجربة اخرى شهرت باسمه وهي تجربة مرآتي فرينال وقد امكن الناس مشاهدتها اثناء عرضها بقصر الاختراع من المعرض الدولي سنة ١٩٣٧ بباريس.

والذي افضت اليه بفرينال تجاربه هي نظريته القائلة بان النور تموجات للاثير منبعها نقط المنار... ومن هنا بدأت العقبات والصعوبات: فهل هذه التموجات طولية longitudinales مثل تموجات اللولب الفولاذي عندما يضغط عليه ثم يطلق ام هي عرضية transversales كتموجات الحبل المحرك ؟ وما كنه الاثير اهو صلب ام سائل ام غازي ؟ - وقع في هذا كله اخذ ورد طويل وجدال وتعصب عنيد ثم تبين ان الاثير اقل كثافة من الهواء اذ هو يتخلل البلور مثلا ويتصف بامتاطة élasticité تظاهي امتاطة الفلاذ فاشرفت سفينة العلماء على الغرق امام هذا الاثير الذي هو صلب وغاز في آن واحد وخاب السعي خيبة قطعية. ولم ينقذ العلم من هذه الحالة الا تجارب فارادي Faraday والعالم الانكليزي الجليل ماكسوال Maxwell التي كانت نتيجتها ان الاثير فضاء خيالي وضعناه لضرورة التفسير تاخذه هزات كهربائية وهزات مغناطيسية عمودية على الاولى. فالنور حينئذ مكون من مجموع رنات طولية وتموجات ويدعى هذا الجنس الجديد من الرنات: الرنات الكهربائية المغناطيسية électromagnétiques فاذا كان طول الموجة بين ($0,40 M$) و ($0,70 M$) كون ذلك النور المشاهد بالعين الباصرة. (الوحدة المرموز اليها بعلامة M تساوي في الطول جزءا من الف جزء من المليمتر).

النور نظرية حبات

Théorie des photons

صارت رنات النور حينئذ حسب نظرية الاصدار كرنات الجرس تبدىء قوية ثم تتلاشى شيئا فشيئا ما لم يوقد السراج مرة اخرى. ومن هنا ذكر اللورد رالاي Lord Rayleigh انه متى عظم طول الموجة عظمت قوة النور وهكذا بلا نهاية.

ولكن عالما يسمى فين Wien اجرى على اثر ذلك تجارب فجاءت نتيجتها مناقضة لـ

رامه النورد رالاي اذ دلت على ان قوة الاشعاع rayonnement تزداد الى حد اقصى تقف عنده ثم تنخفض. واخذت الدهشة انصار لنظرية الكهربائية المغناطيسية عندما ظهرت تحقيقات فين وخابت مساعيهم في التوفيق بينها وبين نظرية فرينال.

وعند ذلك خاض المعمعة الرياضي الالماني ماكس بلانك Max Planck فحمل راية الثورة العلمية وابهت بتحاليله جميع اهل العلم اذ قال: « تظنون ان المنار يرسل نوره بصفة متصلة! هذا خطأ. انما يرسل السراج ضوءه دفقات متتابعة منقطعة كل دفقة تحمل شعلة من النور لها قوة قارة لا تتجزأ بالنسبة الى كل لون وسادعوها الكمية من القوة quantum d'énergie. فقوة المنار عدد صحيح من الكميات اذ لا وجود لكسور من الكميات. فصورة الشعاع النوري كصورة لفات بريدية متماثلة لا تختلف الا بحجم اللفة فلفة النور الازرق لها كمية من القوة اكبر من لفة اللون الاحمر الخ...

فاضطرب اهل العلم، الرياضيون منهم والحسابيون، اذ اعتاد العقل البشري النظر في الكميات المتصلة لا المنفصلة وهذا باب جديد فتحه بلانك موضوعه الكميات المتقطعة discontinu، فنشأت حسابيات جديدة مجاورة للقديمة، منها حساب الامهات matrices وعلم الحيل التقويمية mécaniques statistiques

وتم بقاعدة بلانك تفسير ما يتكون من الكهرباء بارسال النور على بعض المواد effet photo-électrique. وفي ذلك يقول الالماني الآخر اينشتاين Einstein « اذا ارسلنا النور على قطعة من المادة تفرقت اجزاؤها الحاملة للكهرباء الناقصة électrons بتاثير هذا القذف، وذهبت شذر مذر، فكميات النور حينئذ قذائف من نوع القنابل الصغيرة المادية وينبغي ان نفترض انها مادية، فنرى الشعاع النوري كحبات من نور متسلسلة متتالية تحمل كل حبة منها كمية من القوة مناسبة لسرعة تواتر رناتها اي للونها وندعو هذه الجزئيات المكونة للشعاع حبات النور photons »

⊛⊛⊛

هذا آخر ما انتهى اليه العلم في بحثه عن كنه النور ما هو وانت ترى ان الانسان ان نفذت بصيرته وبصره الى الكثير من اسرار الطبيعة فالنور لا يزال عنده بحرا... من الظلمات. وان في ذلك لعبرة لمن اعتبر.

محمد السويسي

استاذ الحسابيات بمدرسة « ابل لويي »

اصلاح غلط

جاء في العمود الاول من الصحيفة السابقة في فقرة « نظرية الاصدار » تشويش في نظام السطور افسد المعنى

والوجه الصحيح هو ان تقرأ: كتب نيوطن على نفسه ان يبحث في دراسة الطبيعة عن كل ما يمت الى ما وراء الطبيعة بصلة وعن جميع البحوث الخ

الحصانة

ـ بقية ما بصفحة ٣ ـ

(Vaccination hétérogène) لاستعمال جرثومة مرض مقارب للمرض المراد التحصين منه للتلقيح ضد ذلك المرض

وفي غضون القرن التاسع عشر اهتدى العالم الفرنسي (Pasteur) وهو العالم الذي يحيون في هذه الايام ذكرى مرور نصف قرن على وفاته الى اكتشاف الاجسام المجهرية المعبر عنها بجراثيم او ميكروبات. واقام الدليل على انها المسببة لعدة امراض تعرف بالامراض الحادة وشرع يختبر هاته الاجسام المجهرية ويعالجها علّه يصل الى طريقة تمكنه من التغلب عليها. واخذ يعالج في اول الامر مرضا يصيب الدجاج يسمى وباء الدجاج choléra des poules وكان يواصل تجاربه في مخبره الكائن وقتئذ بمدرسة المعلمين العليا بباريس وصادف انه ذهب في عطلة للاستراحة وترك علبات مربياته فوق مائدة المخبر ورجع بعد اسابيع ليستأنف عمله فلاحظ ان تلك المربيات اصبحت عديمة التاثير غير قادرة بعد التطعيم بها وان في كميات وافرة على احداث الوباء في الدجاج فاوحى اليه وجدانه العلمي وحدسه العلمي: ان هذا امر خطير يجب تتبعه فاخذ دجاجات وطعمها بهذه المربيات التي ذكرناها فلم تصب بالوباء ثم طعمها بمربيات جديدة فتاكة فظهرت في مأمن من كل اصابة مهما كانت كميات الجراثيم الفتاكة المطعمة بها. بيد ان الدجاجات التي لم تطعم الا بالمربيات الجديدة الاخيرة يقضى عليها قضاء سريعا. فظهر لباستور انه اكتشف سر الحصانة بطريقة تهزيل الجراثيم وتضعيفها بتركها اسابيع معروضة لاشعة النور الشمسي

ويجدر بنا ان نذكر هنا ان باستور لم يكن طبيبا بل كان عالما كيمائيا احيائيا (biologiste) فقط، ولكنه قوض اركان الطب التقليدي في عصره وفتح بالمعلومات الجديدة التي اتى بها آفاقا عظيمة

ولقد نسج على هذا المنوال فيما يتعلق بعدة امراض اخرى تعتري الحيوان والانسان وهاته الامراض منشؤها جراثيم يمكن تنميتها واختبارها بالطرق المعروفة عند اصحاب المخابر

لكن هيهات ان تكون الامراض الحادة كلها ناشئة عن جراثيم مجهرية بسيطة يمكن تسخيرها وتربيتها واخراج لقاح منها بالاساليب المذكورة فهنالك قسم من الامراض ناشئ عن جراثيم صغيرة الحجم جدا بحيث يستحيل مشاهدتها بالمجهر وهي المعبر عنها: virus et ultra-virus نذكر منها داء الكلب (rage) وبدون ان يطلع على الجرثومة نفسها استعمل باستور طريقة مشابهة لطريقته الاولى المذكورة سابقا وربى الجرثومة في نخاع الارنب moelle épinière وهيأ لقاحا يستعمل الى يومنا هذا.

وواصل باستور وتلامذته البحث والتنقيب حتى اثبتوا ان الجراثيم المعروفة يمكن تقسيمها الى نوعين:

الاول ما ينتج الامراض الحادة بتكاثر عدده تكاثرا هائلا وانتشاره في البدن

واما النوع الثاني فهو نوع الجراثيم التي تبرز وترسل في البدن سماقتالا يسمى بالتوكسين (Toxine) وهذا السم قادر وحده بعد فصله عن الجراثيم المولدة له على ان يحدث جميع بوادر الامراض المتسببة فيها تلك الجراثيم

وقد كان لتقسيم الجراثيم الى هذين النوعين اثره المباشر في طرق الوقاية من الامراض المتولدة عنها. فاما الامراض الناشئة عن جراثيم النوع الاول فالوقاية منها تحصل باللقاحات المهيئة حسب الطريقة التي سبق ذكرها. واما الامراض الناشئة عن الجراثيم المولدة للسموم فتقع الوقاية منها بطريقة اخرى ضبطها رامون Ramon احد تلامذة باستور وهي تتلخص في تهزيل تلك السموم وتغييرها باضافة كمية معلومة من مادة « الفرمول » Formol وتركها زمنا معينا بالمسخن (étuve) والمادة الحاصلة بعد هذه العمليات اطلق عليها رامون اسم « اناتوكسين anatoxine » وهي تصلح لقاحا ضد امراض عديدة منها الدفتيريا Diphtérie والكزاز او التيتانوس « Tetanos »

ومن كل ما تقدم يمكنك ان تستخلص ان الحصانة حالة احيائية يحصل عليها البدن بعد اصابة اولى فتجعله في مأمن من اصابة ثانية ـ او بعد تلقيح فتجعله ايضا في منعة عن اصابة ذلك المرض. وقوام هذه الحصانة المكتسبة هي اجسام تسمى « اجساما مضادة » (anticorps) تتكون في الدم لمقاومة جرثومة المرض على اثر الاصابة او التلقيح وتتكون عادة بعدهما ببعض اسابيع (١).

وهذا مما لابد من ادراكه لتفهم ما هي المصلات (٢) (sérums) وما هي فائدتها ووجوه استعمالها للوقاية او العلاج

فقد لاحظ العالمان « بهرينق » و « كيتاساتو » (Behring et Kitasato) ان دم الحيوانات المطعمة بسم الدفتيريا يحدث فيه ذلك السم ـ حسب القاعدة الاحيائية التي بيناها سابقا ـ اجساما مضادة قادرة على تعطيل عمل سم الدفتيريا المذكور. وادتهم التجارب الى نفس النتيجة فيما يتعلق بسم الكزاز (التيتانوس) (Toxine tétanique) بحيث كان من الطبيعي جدا ان يفكرا في استخراج مصلات مضادة لمفعول تلك السموم من دماء الحيوانات المطعمة بها

وما كانت هذه الاكتشافات الخطيرة لتخرج من حيز التجارب بالمخابر اولا ان « روكس ـ Roux » و « لويس مرتان ـ Louis Martin » اهتديا الى استعمال دم الجواد بعد تطعيمه بسم الدفتيريا فاستخرجا منه مصلة امكن استعمالها في كميات وافرة لمقاومة هذا المرض عند ظهوره وجاءت تجارب العلاج الفعلي مؤيدة لهذه الطريقة تاييدا باهرا اذ انحط عدد الضحايا من المصابين بالدفتيريا الى النصف وقد استعملت نفس هذه الطريقة في معالجة الكزاز (او التيتانوس) فكانت ناجعة

واهمية هذا الاسلوب في المعالجة انما هي من جهة انه يقدم للجسم العليل مهيأة جاهزة للدفاع عنه هذه الاجسام المضادة التي قلنا انها تتكون في الدم اذا اصيب البدن بجرثومة تبث فيه السموم فتقاوم مفعول تلك السموم. وقد قلنا ان الدم لا يكون هذه الاجسام المضادة عادة الا بعد الاصابة والتلقيح باسابيع. فالفائدة العظمى من المصلات حينئذ هي انها تزود الجسد بمجرد ادخالها فيه وبدون عناء له او تعب بما يحتاج اليه من الاجسام المضادة لمقاومة المرض حالا لا سيما وتكوين الاجسام المقاومة على طريق التلقيح يستغرق حينا من الزمن ربما يكون المرض اثناءه قاضيا

واكثر ما تستعمل المصلات ـ سواء للوقاية الاستعجالية او للعلاج ـ في امراض الدفتيريا والكزاز والالتهاب السحائي الحاد او التهاب ام الراس (méningite). وقد سميت هذه الطريقة التحصين السلبي تمييزا لها وتفريقا عن التحصين الايجابي الحاصل من التلقيح.

الدكتور الصادق المقدم

ـ الطبيب بالمستشفى الصادقي ـ

---

١) قد يكون من النافع هنا ان نذكر ان المولود يبقى متمتعا بحصانة امه طيلة ثلاثة اشهر واحيانا ستة اشهر بعد وضعه والمولود الجديد كما يقولون قطعة من جسد امه.

٢) جاء في القاموس المحيط في مادة مصل « المصول تمييز الماء من اللبن » وقد اخذ شرف في قاموسه الانكليزي العربي للعلوم هذه اللفظة لتعريب serum حيث ان « السيروم » او المصل هو ما يفرز من مادة سائلة كالماء من الدم عند تجمده.

الاغــالبــة

تاريخ القيروان – ٦ –

للاستاذ الصادق مازيغ

(بقية ما بصفحة ٣)

الاغلبي بافريقية فنحن نجد الامر على خلاف ما تقدم .. والعلة في ذلك ان المذاهب الدينية والاحزاب القائمة عليها لم تتكافح بالقيروان الا ابتداء من اواخر القرن الثاني اثر تأثر افريقية بـاحوال الشرق الاسلامي واتصال الخصومات الدينية والنحل المذهبية اليها بواسطة الرحلة الى المشرق

وقد كان الامراء الاغالبة من جهة اخرى حريصين على محاكاة اسيادهم الخلفاء العباسيين في الاهتمام بمسائل العلم الديني وتقريب رجاله اليهم وحتى في الانتصار لبعض الآراء والمذاهب الامر الذي احدث بالقيروان نفسها نوعـا جديدا من النزاع والتحزب السياسي الديني كان للفقهاء وعلماء الدين فيه اوفر نصيب. واذ كانت المعالم وغيرها من كتب الطبقات كرياض النفوس مجموعة تراجم لرجال الدين من علماء وصلحاء فهي بذلك الاعتبار ذات قيمة تاريخية لا تنكر فيما له مساس باحداث السياسة والدين طيلة العصر الاغلبي والعصر العبيدي بعده

مؤسس الدولة – ليس بالمصادر المشار اليها شيء يذكر عن ابراهيم بن الاغـلب بن سالم التميمي اللهم الا اليسير مما له مساس بخطة القضاء. فقد كان حريصا على تنظيم تلك المؤسسة واعلاء شان من تقلدها . كان هو بنفسه يخضع لاحكام القاضي عبد الله بن غانم ويحمل ارباب دولته على احترامها. ولا غرو فقد كان الرجل سياسيا محنكا عرف كيف يستغل فوضى البلاد لتوطيد امره . وهو اول من رفع من مكانة علماء الدين حتى اصبحوا شيئا فشيئا شبه دولة في الدولة . وتكون نوع جـديد من الشرف والنبل قام في وجه شرف الجندية والحروب

ثورة منصور الطنبذي (١)

قد راينـا مـا لحق افريقية من الفوضى والاضطراب خلال القرن الثاني من جراء تمرد الجنود وعصيانهم وكيف اغتنم ابراهيم ابن الاغلب تلك الحالة لتـاسيس حكم قوي مطاع كفيل بتمهيد الامن والراحة . ولم يكن قيام مثل هذه الدولة الفتية ليروق هواة الفوضى من عتاة الجند . فكانت اوائل الدولة الاغلبية معكرة بتمرد القواد بشمـالي المملكة . وادرك ابراهيم بن الاغلب هذا الخطر المهـدد للملك فاصطنع له بطـانة وحرسا خاصـا به واختط مدينة العباسية التي سميت فيما بعد بالقصر القديم كيما تكون ملجا عند الحاجة اذ لم يكن جانبه ليطمئن لاهل القيروان

واستمر عصيان الجند الى ولاية ابنه زيادة الله الاول . وكان هـذا شديد الوطأة على الجند مبالغا في الفتك بهم لاية محاولة بدرت منهم – واسرف في سفك دمائهم حتى ادى ذلك الى ثورة منصور الطنبذي احد زعماء الجند بتونس وفيها اوشكت دولة بني الاغلب ان تتزعزع عن اركانها وان يقضى عليها القضاء الاخير

وتعظم شوكة منصور فتبلغ جنوده القيروان . ولا يجد زيادة الله من حيلة غير الاعتصام بمدينة ابيه التي قد زاد في تحصينها خوفا على نفسه . وتنضم القيروان الى صف الثائرين على العادة التي يظهر انها الفتها من اواسط القرن الثاني .ولا يجد زيادة الله ازاء ذلك الانتقاض من مناصر له الا قاضيه ابا محرز واسد ابن الفرات اذ لم يكن .وتفهمـا بموقف المحبذ لصنيع القائد المتمرد على رغم تهييج هذا عامة القيروان على ما كان يسميه بظلم زيادة الله

فالمعالم تحدثنا ان منصورا لما « ملك مدينة القيروان وافريقية ونزل بعسكره بيـن شرقي القيروان وغربيها وخندق هنالك خندقـا .. خرج اليه اسد وابو محرز وهمـا قاضيان . فدخلا على منصور وعنده وجوه الاجناد وغيرهم فقال لهما منصور في كلام كان منه : اخرجا عني اما تعلمان ان هذا البائس ظلم المسلمين – فاما ابو محرز فكلام لانه خاف من منصور ومن اصحابه. فقال : نعم وظلم اليهود والنصارى . واما اسد فقال : كنتم اعوانا لهم قبل هذا الوقت وانتم على مثل هذه الحـال . ولما وسعنا الوقوف عنه وعنكم فكذلك يسعنـا الوقوف عنه وحده – فصال عليه بعض الجند ثم انصرفا جميعا وهما خائفان »

من هنا ندرك عظمة الدور السياسي الذي قـام به اسد وابو محرز في تلـك الظروف المتحرجة وما كان لهما من اليد في ارجاع القلوب الى زيادة الله وتأليبها على الجنود الثائرين . حتى « انهزم منصور والجند في شهر رمضان سنة احدى عشرة ومـائتين (٢) – على مـا جاء في المعالم – وفتح الله عز وجل لزيادة الله ورجع اليه ملك افريقية – وسور مدينة القيروان »

ونحن نلمس في رواية المعالم – على ما فيها من القيمة في نظر المؤرخ – انموذجا من المغالط التي اوقعها فيهـا حرصها على تنزيه سمعة القيروان ونفي المعرة عنها فابتعدت من اجل ذلك احيانا عن جادة الصواب ومسخت بعض الحوادث التاريخية مسخا قبيحا لا يسعنا الا الاشارة اليه في مواطنه

١ قد راينا اولا موالاة اهل القيروان لمنصور الطنبذي مع ان المعالم توهمنا انه احتلها قهرا – وهي تشير ثانيا الى ان زيادة الله ابتنى سورا للقيروان اثر انهزام الجند الثائر . والحقيقة ان الامير الاغلبي كان قد غـاظه عصيان القيروانيين وتواطؤهم عليه مع اعدائه فاضمر لهم شر العقوبات واقساها فلما ظفر بهم آثر ان يسلك سياسة العفو نحوهم اذ لم يزل معظم البلاد منتقضا عليه ولم تخمد بعد نيران الفتنة رغم هزيمة منصـور وفراره الى تـونس . فاقتصر زيادة الله على هدم سور المدينة حتى الصقه بالارض

وهكذا تبقى القيروان بلا سور الى اواخر دولة المعز بن باديس الصنهاجي

فتـح صقـلية

تكد تضع تلك الحرب الداخلية اوزارهـا حتى اتجهت همة زيادة الله الى تدارك الامر بنقل الحرب من داخل البلاد الى خارجها، اذ لم يكن من وسيلة غيرها فيما يظهر لشغل الجند عن اثارة الفتن وتهديد كيان الدولة

ولم يكن زيادة الله باول من ارسل الجيوش الى صقلية . فقد ظلت الغزوات تتواتر عليها من عهد معاوية بن حديج كما قدمنا . وكذلك يغزوها اسطول افريقية بقيادة عياش بن اخيل في ولاية موسى بن نصير . ويغزوها محمد بن اوس الانصاري في ولاية يزيد بن ابي مسلم سنة ١٠٢ ﻫ (٧٢٠م) وكان محمد بن اوس اذ ذاك قائد الاسطول . ويغزوهـا مرة اخرى بشر بن صفوان عامل افريقية بنفسه . ولعل هذه الغزوة هي التي كان من قوادها عبد الرحمن بن رافع التنوخي (٣) اول من استقضي بالقيروان . فيكون السبق بهذا الاعتبار لعبد الرحمن بن رافع على اسد بن الفرات . فهو اول قاض قاد حملة الى صقلية . وكان ذلك سنة ١٠٧

ويظهر ان سطو مراكب المسلمين على سواحل الجزيرة بقصد الغارة والسبي كان امرا معهودا مسترسلا فاقتصر المؤرخون من اجل ذلك على ذكر اهم الحوادث واهملوا ما عداها . ففي سنة ١١٦ كانت واقعة من هذا النوع اسر فيها عبد الرحمن بن زياد بن انعم وكاد يقتل في جملة من امر « الطاغية » بقتلهم من الاسرى المسلمين . وقد روت لنـا المعالم نقلا عن طبقات ابي العرب حكاية اسره وخلاصه من القتل . واستمر غزو صقلية على عهد عبيد الله بن الحبحاب بقيادة حبيب ابن ابي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري وغزاهـا بعد حبيب ولده عبد الرحمن مدة استبداده بامر افريقية

ومع ذلك فلم ترسخ بـالمرة قدم للعرب بصقلية الى عهد زيادة الله الاول . فقد كانت حروبهم فيها لمجرد شن الغارة وحشد الغنائم واقتناء السبي . ولم يفتح الجزيرة بصورة منظمة ويلحقها بافريقية الا اميرنا هذا

وتفيدنا رياض النفوس والمعالم ان زيادة الله كان قبل الشروع في تلك الحملة على حالة مهادنة مع من بيده الامر بصقلية

وهذا يؤيد ما ذكرناه آنفا من ان حالة الحرب والنهب كانت متواصلة بين افريقية و « بلاد الروم » على ما كان يتخلل ذلك احيانا من تعاقد على المهادنة ومفاداة الاسرى من الجانبين . وتزيد المصادر المذكورة بان تكشف القناع عن بعض شروط ذلك الصلح الذي كان عبارة عن شبه استسلام ضمني لجانب الدولة الاغلبية واعتراف لها بالتفوق والغلبة من طرف خصومها فقد جاء فيه ان من دخل اليهم من المسلمين واراد ان يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم – ويرجع تاريخ تلك المهادنة الى ولاية ابي العباس وهو سلف زيادة الله كما جاء في رياض النفوس

كان زيادة الله شديد الرغبة في نقض الصلح واشهار الحرب لما قدمنا من اسباب ترجع الى السياسة الداخلية فلم يبق الا ايجاد الذريعة والمبرر . ولم يكن ذلك لديه بالعسير فقد كان له من قاضيه اسد ابن الفرات رجل الدين والسياسة احسن مؤيد لرايه واشد مناضل عنه على رغم معارضة الجم الغفير من الفقهاء فيما يخص مشروعية تلك الحرب

على ان في رواية الرياض والمعالم ما يشعر بانشقاق الروم اذ ذاك بالجزيرة وتفرق كلمتهم وتشتت اهوائهم على وفق ما نجده في رواية ابن خلدون وتلك هي الفرصة التي انتهزها زيادة الله للاستيلاء على صقلية . وذلك هو الذي اغراه في واقع الامر بنقض المهادنة . وكيف لا يعبث بها وقد اضحى فريق من الروم انفسهم يوجهون الوفود اليه ويستنجدون به على الفريق الآخر . ويمهدون له السبيل الى غزو بلادهم غير متحرجين من اتهام بني عمهم بنقض المعاهدة وامساك الاسرى من المسلمين

والرياض تحدثنا (٤) – والمعالم تقلاعنها انه « لما قدم قيمة (٥) في هذه الهدنة ايـام زيادة الله رفع اليه ان عند الروم اسارى من المسلمين – فجمع زيادة الله النـاس واحضر اسدا وابا محرز وسالهما عن ذلك . فاما ابو محرز فقال : نستاني في هذا الامر حتى يتبين فاما اسد فقال : نسال رسلهم عن ذلك . فقال ابو محرز : وكيف نقبل قول الرسل عليهم اذ دفعهم عنهم . فقال اسد : بالرسل هادناهم وبالرسل نجعلهم ناقضين . قال الله عز وجل ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلـون . فكذلك لا نتماسك به ونحن الاعلـون . . . فسال زيادة الله عند ذلك الرسل فقالوا : نعم حبسوهم لانهم في دينهم لا يحل لهم ردهم (قال) وكان في الرسل مسلم (قال) فـامر زيادة الله بالغزو اليها (اي الى صقلية) »

ولى زيادة الله اسد بن الفرات قيادة الجند الموجه لغزو الجزيرة . والمعالم بادية التناقض في هذا الصدد تبعا لرياض النفس . فتحدثنا من جهة عن رغبة اسد في تدبير امور المراكب واجرائها بالكتاب والسنة ثم تفيدنا من جهة اخرى ان اسدا لم يكن بالمرتاح لنقله من خطة القضاء الى منصب الامارة الحربية وان زيادة الله عزم عليه في ذلك . والحقيقة ان الرجل كان طموحا الى تسنم ذرى المجد حريصا على ان يخلد لنفسه ذكرا في الحروب بعد ان امتلأت باسمه رئاسة العلم والدين

الاقرب اذن ان اسدا هو الذي عرض نفسه ضمنيا او علنيا على زيادة الله كما ذكره ابن العذاري في بيانه

ومهما يكن من الامر فقد كانت تولية اسد اميرا على الجيش الغازي انصح رمز الى ذلك الاتحاد المتين والتفاهم البديع بين زعيم السياسة وزعيم العلم والدين - وهو عين ما كنا لحظناه في ثورة منصور الطنبذي ! وابدت الحوادث حسن اختيار الامير الاغلبي فقد ظهر اسد بمظهر القائد المحنك المقتدر والبطل الذي لا تفل الطوارئ من عزيمته . يؤيد ذلك موقفه الصارم ازاء ابن قادم الذي كانت بيده فيما يظهر امارة البحر وكان يرى الرجوع بالناس الى افريقية خوفا من المجاعة - فارشك عندئذ اسد ان يامر باحراق المراكب كما فعل ذلك قبله طارق بن زياد في مثل تلك الظروف

ونجحت حملة الجنود الافريقية على يد اسد ابن الفرات . وبدا استقرار المسلمين بصقلية من ذلك العهد . وشاءت المقادير ان يموت قاضي القيروان موت الجندي المستبسل في ميدان القتال . فقضى نحبه في حصار سرقوسة سنة ٢١٣ (٨٢٨م)

الصادق مازيغ

تعاليق

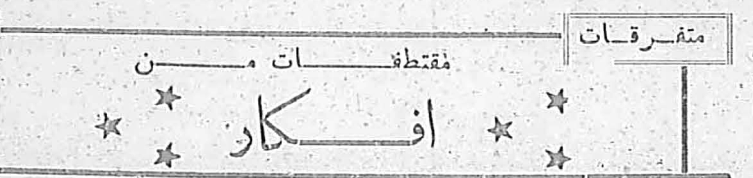
١) نسبة الى طنبذة او طنبذ وبها كان قصر منصور كما في البيان المغرب - ويقول البكري في مسالكه ٣٠ : وهي اليوم تسمى المحمدية . وطنبذ على اميال يسيرة من تونس

٢) هذا النص لا يخلو من بعض الغموض والالتباس . فقد كانت هزيمة منصور اولا على يد زيادة الله في عين السنة التي ثار فيها اي سنة ٢٠٩ وفي اثناء حصاره القيروان - بيان ١-٩٢-ابن خلدون - ٤-١٩٨ - اما هزيمة منصور النهائية ومقتله فكانا على يد عامر بن نافع احد القواد الذين شاركوه اولا في عصيانه

٣) طبقات الخشني ص٢٣٣ - نشر ابن شنب على اثر طبقات ابي العرب

٤) نشر النص المتعلق بفتح المسلمين اصقلية من كتاب رياض النفوس المستشرق Amari في كتابه :
Bibliotheca arabo sicula - Leipzig 1855
ونشرت النص المذكور مع ترجمة له بالفرنسية نشرية الدراسات العربية سنتها الرابعة ١٩٤٤ عدد ١٦ (حاشية الحزائري)

٥) باليونانية Euphemios وقد نشره هذا الاسم في طبعة العالم - فاعتمدنا نص الرياض المشار اليه .



الفيلسوف اللاتيني «ماركاوريل»

كلمة عن « مارك اوريل » « MARC- AURELE »

ولد مارك اوريل في رومة سنة ١٢١ م ، واستنباه الامبراطور الروماني « انتونان » فترعرع في احضان الامبراطورية وهي في اوج عزها ومجدها ، وتلقى على ثلة من خيرة العلماء جميع علوم عصره ومنها الفلسفة . وقد تاثر على وجه الخصوص بالفلسفة اليونانية وبالاخص بالمذهب الرواقي منها « stoïcisme » وعاش دهرا عيشة الرواقيين المتقشفين المتصوفين . ثم ولي الامبراطورية في سن الاربعين فقام باعباء الحكم وواجبات الوطن قيام الحاكم الحكيم جاعلا « العقل » دليله في سبيل احراز السعادة لامته ولنفسه ومات سنة ١٨٠ م .

وتدور فلسفته كلها على محور مبادئ الرواقية الحديثة néo-stoïcisme وخاصة على محور القول بان الفلسفة اخلاق قبل كل شيء وان الاخلاق قوامها سلطان العقل وقاعدتها الكبرى الرضى بما سنته الطبيعة لهذا العالم من سنن . وقد اثبت في مؤلفه « افكار » « Pensées » جمع ما كان يخطر له اثناء حروبه او فيما بين ساعات اشتغاله بالاعمال السلطانية من خواطر حول مشاكل الحياة المختلفة ووجود السيرة فيها . والناظر في « افكار » يلحظ انها تردد جملة معان جوهرية اولها : ان الانسان ينبغي ان يكون السلطان المطلق عليه للعقل بنهيه ينتهي وبأمره يأتمر ، وثانيها ان عقل الانسان ينبغي له ان يتفهم ويطيع ارادة هذا « العقل » الاسمى - او الروح القدسية كما يقول احيانا مارك اوريل - المتجلي في الكون المدبر له . وثالثها انه ينبغي للانسان ان يكون صلبا قويا وان يتجلد ويصبر على جميع المصائب في الحياة - جاءت من الانسان ام من غيره - وان يستعد للموت استعداد اثبات الجنان .

- ١ -

اذا استيقظت صباحا فلتكن فاتحة يومك ان تقول في نفسك : قد يعترض سبيلي في هذا اليوم ثقيل او منكر للجميل او وقح او خب منافق او حسود . فينبغي لي ان اتذكر ان هؤلاء المساكين ان كانوا مصابين بهذه السوءات فذلك انهم لا يحسنون التمييز بين الخير الحقيقي والشر الحقيقي . اما انا فقد علمت ان الخير الحقيقي هو ما يتحد ومعنى العفة وان الشر الحقيقي هو ما يتحد ومعنى المذموم المخجل . فعقلي يريني حينئذ اولا انه لا يمكن واحدا من هؤلاء الناس ان يصيبني بسوء لانه لا يستطيع ان ينزع من نفسي عفتها . وثانيا انه لا ينبغي لي ان اغضب على من هو اخ لي في الحقيقة ولا ان اكرهه . فقد خلقنا لنتعاون على عمل واحد كما خلقت الرجلان واليدان والعينان لتتعاون على عمل جسدي واحد . فان عمل احدنا ضد الاخر - لا سمح الله - فقد اعترضنا على ارادة الطبيعة .

- ٢ -

كن كالصخرة الثابتة على الشاطئ ، لا تزال امواج البحر تتكسر عليها متهافتة في شدتها صاخبة . واذا اصابتك مصيبة وقلت : ما اتعس حظي ، فاعلم انه كان ينبغي لك ان تقول : ما اسعدني - على ما اصابني - بان ابقى في منعة من الحزن والهلع غير شاعر بكلم من الحاضر ولا واجد فزعا من المستقبل .

- ٣ -

اشد انتقام يمكن ان تنتقمه من الجناة هو ان لا تكون شبيها بهم .

- ٤ -

علم الحياة اقرب الى فن المصارعة منه الى فن الرقص . لان الحياة تقتضي ان تكون دائما مستعدا متهيئا الى تلقي الحوادث الطارئة المفاجئة بشجاعة وثبات .

- ٥ -

امور خمسة هي مذهبة لشرف النفس . اولها ان تكون النفس في الكون كالقرح او البثر في الجسد . ولا تكون كذلك الا اذا انعزلت وانفصلت عن كلية الكون الحاوية في ذاتها لجميع افراد الكائنات بانكارها ما تجري به الحوادث . وثانيها ان يصيبها داء الكره للانسان فتحقد عليه وتستعد للاساءة اليه كما يحصل ذلك في حالة الغضب . وثالثها ان يقهرها سلطان اللذة او الالم . ورابعها ان تعمد الى النفاق والرياء واقتراف الكذب واتيان الخب فعلا او قولا . وخامسها ان لا تتجه بسلوكها وجهودها الى غاية وان تسير على غير هدى ولا تناسق بين افكارها وانما ينبغي ان يكون كل شيء وحتى جزئيات كل شيء متعلقا بغاية .

- ٦ -

لا تفعل شيئا انت غير راض بفعله . ولا شيئا الا ان يقتضيه نفع العموم . ولا شيئا الا ان تكون اعملت فيه الروية . ولا شيئا لمجرد خاطرة نفس او مناقضة الغير .

- ٧ -

هل رايت قط رجلا او يدا او راسا مقطوعا مفصولا عن باقي الجسد ؟ ذلك مثل الانسان الذي لا يرضى - على قدر ما يتعلق الامر بارادته - بما قدر له من شان في الحياة ومثل الذي يفترق عن غيره من الناس ولا يكون همه في جميع اعماله النفع العام .

- ٨ -

المحسوسات من الجسد والاهواء من النفس والمبادئ من العقل .

ولان تلقي الاحاسيس من الاشياء قدر نشترك فيه والحيوانات . ولان تهزنا الاهواء هزا عنيفا امر لا تخلو منه الحيوانات الضارية ولا المخنثون ولا الجبابرة الوحشيون مثل فالاريس ونيرون . ولان نسير في الظاهر حسب قواعد العقل امر يقدر عليه ايضا الملحدون والجبناء الخونة لاوطانهم عند الخطر وجميع الذين لا يتحاشون عن اتيان المآثم والمخازي متسترين في بيوتهم الموصدة

فاذا كانت جميع هذه الصفات من احساس وهواء وعقل مقادير مشتركة بيننا وبين جميع ما ذكرت فان الخلق الوحيد الذي يمتاز به الانسان خاصة هو ان يفرح ويرضى بكل ما يحدث له وكل ما كتب له - هو ان لا يفسد ولا يهتك بتخيلاته واوهامه حرمة الروح القدسية الحالة بقرارة قلبه وان يطيعها طاعته لاله فلا يقول كلمة الا ان تكون حقا ولا يفعل فعلا الا ان يكون عدلا .

- ٩ -

اي الناس تريد ان تعجب ؟ ولاي غاية ؟ وباي الوسائل ؟.. قريبا يذهب الدهر بالكل

البقية على صفحة ١١

نبغ في العربية الكثير من الشعراء وملؤوا الدنيا شهرة وقام حولهم مؤيدون ومناصرون ومذيعون ومكافحون . ولم يعن الناس بشاعر منهم عنايتهم بابي الطيب المتنبي ولم يشتغلوا بشعر اشتغالهم بشعره ولم يحللوا شخصية تحليلهم لشخصيته. وقد ذكر ابن خلكان في وفيات الاعيان انه استفاد من شيوخه ان علماء الادب واللغة لم يقبلوا على ديوان كاقبالهم على ديوان ابي الطيب وقد شرح هذا الديوان ما ينيف على الاربعين اديبا . وقد حاول ابن خلكان واساتذته ان يعللوا هذا الاقبال بالحظوة والسعادة فقالوا : كان محظوظا ورزق السعادة في شعره . وهو تعليل الى ما فيه من سذاجة وبعد عن الحقيقة لا يخلو من تساهل في البحث والنقد ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تجاوزه الى ابعد من هذا فقد استمرت معالجة الادباء لديوان ابي الطيب في كل عصر من عصور التاريخ وما زال الناس الى الآن يفكرون في شرح جديد له : وقد شرح المرار العديدة في هذا العصر وتناول شعره وشخصيته الكثير من النشريات الدورية بالنقد والتحليل ويتعذر ان تخلو صحيفة ادبية او مجلة علمية الكتابة عن المتنبي وشعره . فكان المتنبي فتنة عامة في كل عصر وعصر بل لقد كانت الفتنة اوسع مما نتوقع . فبجانب هذا التهافت على شرح الديوان كان الادباء قبل اليوم وحتى اليوم يتسابقون الى حفظ شعره قصيدا قصيدا ويعدونه من اركان التأدب ودعائم التفنن ويظهر من القصة الآتية ان الادباء كانوا يجمعين على ان حفظ شعر المتنبي من الامور التي يخل اغفالها بالاديب فقد وفد في اواسط القرن السادس احد اعلام الادب من بغداد على الاندلس ونزل في قرى ابن زهر الاديب المشهور والحكيم المذكور فسال الوافد بعض الادباء الذين كانوا يترددون على مجلس ابن زهر عن رايه في الادب الاندلسي ورجاله . فاجابه بقوله « كبرت » فاستبرد الاديب مقصد ذلك الوافد وكاد يرميه بالفهاهة والجنون فانقذ ابن زهر الموقف واشار الى الاديب الاندلسي السائل بيده قائلا له : هل حفظت ديوان ابي الطيب فاجابه بنعم وهنا وجه اليه عتابا رقيقا قائلا له : اذهب عن خاطرك قوله :

كبرت حول بيوتهم لما بدت

منها الشموس وليس فيها المشرق

فوجم لها وادركه الخجل ونبل الوافد في نظره واكبره وهذا يبرهن على ان كل من يعاني الادب كان لزاما عليه ان يحفظ الديوان المذكور . ولهاته القصة مثيلات من النظائر كلها شاهدة بان رجال الادب كما فتنوا بشرح الديوان ومراجعته والاكباب عليه فتنوا بجودة حفظه واستظهاره وهذا لا يعد شيئا مذكورا بالنسبة للفتنة التي اثارها في عصره والشوشاء التي قامت حوله لعلك من شاعر سيما فلول الشعراء

(المتنبي)

فتنة العصور

لقد كان من اثر الدراستين اللتين نشرناهما في المجلة عن المتنبي ومن اثر ما جاء فيهما من تحليل لروح ابي الطيب ونفسيته وينابيع شعره صدى في نفوس الادباء حركهم الى المشاركة في مضمار البحث . ونحن تشجيعا لما يبدو في آفاق البلاد من نشاط ادبي وطلبا لتوسيع مجال العمل عن نطاق العاصمة الضيق ننشر اليوم للاديب صاحب الامضاء هذه الدراسة التي تحدثنا عن افتتان الناس بالحديث عن المتنبي خلال العصور والتي جاءت نفسها شاهدا حيا على شدة هذه الفتنة شاكرين للاديب صاحب المقال تخلصه من جو الحياة الريفية القاتل المميت للكثير من العزائم والقرائح .....

وملك عليه فؤاده وسحر لبه حتى انتظم في سلك شراح ديوانه ولم يكتف بذلك حتى اطلق على ديوان المتنبي الكلمة المشهورة التي تناقلتها العصور « معجز احمد » واقتفى اثر المعري كبار الادباء وكلهم بين محبذ وناقد ومعتدل ومتطرف شان الناس في كل شخصية ابا قيمتها في الوجود وعموا عن اسرارها ولم يهتدوا الى حل رموزها فتراهم يكتبون مدفوعين بمنازع شتى وقد وصل الامر ببعضهم الى الافراط والتحامل والى التنقص الشائن والنقد المغرض مثل الذي التبس به الرضي في بغداد فقد حاول جهده ان يصرف الناس عن تلكم الفتنة وان يشغلهم عن هذه الشخصية الفذة وتكون في وسط هذا المعمعان المناصرون والمقاومون والناقدون والساخرون وانبعث القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني مؤلف كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه مدافعا عن ابي الطيب مبينا لخصومه خطأهم وهو القائل في اول كتابه : « التفاضل داعية التنافس والتنافس سبب التحاسد » معتذرا عن سقطات ابي الطيب وهفواته بالعذر المشهور بان البشر ليس يطالب بما ليس في طبع البشر ولا يلتمس عند الادمي الا ما كان في طبيعة ولد آدم واذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان فاستسقاط من عز حاله حيف والتحامل على من وجه اليه ظلم وللفضل آثار ظاهرة وللتقدم شواهد صادقة الى آخر ذلك . فبينما ابو الحسن ينصب نفسه حكما بين المتنبي وخصومه اذا هو بدوره يفتن فيسعى جهده في تاييد ابي الطيب ويتطوع بالنضال عنه ويرمي خصومه بالتحامل . ويقوم الحاتمي الاديب البغدادي الشهير بغارة شعواء على شخصية المتنبي متناولا شعره بالتشويه والتقبيح مؤلفا في ذلك رسالة غراء جاهد ان يكون فيها اديبا كبيرا وناقدا نزيها . ولكن لم يسعه في اثناء التحرير الا الاعتراف بتفوق المتنبي في شعره وان اشبعه طعنا وثلبا في ذاته . ويحقد الصاحب بن عباد اديب عصره وامام عصره على ابي الطيب لانه لم يمدحه فيحاول ان ينتقصه وان يصرف الافكار عنه وان يحيطه بسياج من السماجة ويختلق له الكثير من العيوب فيختفي في سعيه ويفضح نفسه بين الادباء فيسرق معاني ابي الطيب ويستعملها في رسائله بالرغم عنه ويستشهد حتى ببعض ابياته ولا يسميه وهو يوالي عليه الهجوم الا ان يحاربه بسلاحه حتى اثار ذلك ثائرة المتعصبين لابي الطيب واتخذوها ذريعة لتعزيز ما يذهبون اليه وحجة يردون بها تهافتهم عليه

❀❀❀

وهكذا كان ابو الطيب طيلة العصور فتنة للجمهور لم يسلم منها المحب المستهام ولا الحسود العنيد . فما هي اسباب هاته الفتنة يا ترى ؟

هل كان المتنبي مجددا في عالم الشعر او مبتكرا في هذا الفن او منفردا باسلوب النظم وهل اظهر شيئا مخبوءا طالما طمحت العقول بالوصول اليه وبالعثور عليه ففتن الناس بجديده وصرفهم عن القديم الخالي مما يطلبون ام انه بقواف استعصت على غيره من الشعراء او بمعان ما جاشت في صدور الادباء ام فتح في ميدان الادب بابا يتعسر فتحه واستغلق حتى تراجع الناس دونه . كلا ! كل هذا لم يكن منه شيء لان المتنبي عد من كبار المحافظين على اساليب الاقدمين ومن المتشددين في ذلك فهو حريص كل الحرص في قوافيه ان تكون مماثلة كل المماثلة لقوافي الفرزدق وجرير والاخطل والنميري وغيرهم من شيوخ الشعر وايمة القول واساتذة البيان . اذا فليس هذا هو سبب الفتنة ولا هو سر اقبال الجمهور . على انه وان كان محافظا في اسلوبه فهو مجدد نوعا ما ولكن هذا التجديد في الحقيقة ليس هو سر الفتنة ولا مبعث الالتفاف حوله لان امثاله الشعرية الحكمية التي توالت وتكاثرت في شعره وافردت بالتاليف واستظهرها الناس واستشهدوا بها في كتبهم وفي محاوراتهم ليس ابو الطيب مخترع عقدها ولا هو اول من عني بها فقد سبقه الى ذلك الكثير من الشعراء وفي ديوان حبيب ابن اوس المعروف بابي تمام كثير من

هذا الضرب لا تقل عن امثال ابي الطيب في شعره متانة وعذوبة . فليس كل السر في هذه الفتنة لا يرجع الى هذا ولا الى ذاك لكنه يرجع قطعا الى الروح التي امتاز بها هذا الشاعر على سائر شعراء العصور فهذه الروح الممتازة . كسائر ارواح العظماء الذين افردوا بالخاصية كما انفرد شيشرون الخطيب الروماني بخطابه وقس بن ساعدة ببيانه وعبد الحميد الكاتب بترسله والجاحظ باسلوبه هذه التي تلعب دورا خطيرا في الادب ثم تختفي كما تختفي الشمس ويبقى ضياؤها في الآفاق . هذه الروح تظهر في المقامات التي لم تظهر فيها ارواح الشعراء . فبينما ابو الطيب يحلق في سماء الخيال مستجديا ومادحا واذا به متجبر مفتخر على الممدوح نفسه يراد دونه ويتخلص بسحر بيانه من الانكار عليه او النض منه او الرد عليه غير مستهدف الى ما استهدف اليه الشعراء في ميدان ضيق النطاق . فانظر اليه مثلا كيف يخاطب سيف الدولة ثم يثني معتزا متجبرا شامخا براسه وبنفسه غير لاو على شيء قائلا في غير خوف ولا خجل :

توهم القوم ان العجز قربنا

وفي التقرب ما يدعو الى التهم

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة

بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

فلا يرى لاحد حقا عليه كائنا من كان وينسى نفسه وانه الشاعر المستجدي فيتبسم بسمة الجبار العنيد في سياق المدح الذي لا تجمل به هاته اللغة ولا يؤدى بتلكم اللهجة الجافية فيقول :

ومن عرف الايام معرفتي بها

وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم اذا ظفروا به

ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

ثم يتنازل احيانا ويسوي نفسه بالممدوح في غير تعتع ولا روية :

خليلي اني لا ارى غير شاعر

فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة

ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ثم يتعالى ويسمو بنفسه فوق الجميع فيخاطب سيف الدولة وهو يمدحه في نفرة طائشة ان فيقول :

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم

ويابى الله ما تاتون والكرم

ما ابعد العيب والنقصان عن شيمي

انا الثريا وذان الشيب والهرم

ثم يزيد عتوا ويحتقر ممدوحه ويشمخ بسمة النفس ويمنة بنعت الابتذال وهو لغة لم تعرف لغيره من شعراء الارض فيشافهه بقوله :

وشر ما قنصته راحتي قنص

شهب البزاة سواء فيها والرخم

ثم يرى الناس مضطرين اليه اضطرارا طبيعيا ويتراوون على محكم هذا الاضطرار وهو لن يتنازل ولن تنزلق فوق الثريا وطيرا

التعليم

بقية ما بصفحة ٣

فيه ايضا ان هذا الاصلاح مما يمكن من الناحية الاممية ان يصبح من انجع وسائل ترسيخ دعائم السلم وتآلف البشر . واما من الناحية القومية فان مستقبل كل بلاد في الإقتصاد والسياسة والاجتماع يتوقف الى حد بعيد على توجيه تربية الشباب .

وقد كان من اول من ادركوا ما تستفيد الحكومة القاهرة من احتكار التعليم الامبراطور الفرنسي « نابلون » . وكان التعليم يكاد ان يكون كله الى عهده بيد الكنيسة تستخدمه لغاياتها الخاصة . فراى نابلون رايا كان فريديريك ملك بروسيا قد اتبعه قبله وهو انه من الممكن صبك الروح والجسم على الشكل المراد وجعل المدرسة مغرسة لموظفين خاضعين وضباط منقادين فمن تجاسر من الناس على ابداء رايه الشخصي ولم يمتثل الاوامر الرسمية عد خطرا على الدولة واقصي عن المناصب الدولية . وعلى هذا تصير المدارس مصانع لادمغة تفكر على نمط واحد هو النمط الرسمي . وعلى نفس هذه المبدأ - مبدأ استعباد الشبان لغايات سياسية وعسكرية وجعلهم منذ الطفولة مشتركين في العقلية والكره والمحبة - اعتمدت تربية الشباب عند الامم المناوئة للحرية من المان وايطاليين ويابانيين وغيرهم . وبهذا صار التعليم لا يقتصر على انجاب نخبة منقطعة الى الابحاث العلمية بل يرمي الى اعداد الشبان الى غاية معينة كالكفاح مثلا . وكل يعلم ما كانت نتيجة هذه التربية

واما في الاقطار الانقلوسكسونية والاقطار الشمالية ولا سيما الولايات المتحدة وبلاد السويد فكان التعليم العمومي يرمي الى بث الافكار على الاعتناء بالامور السلمية والى مساعدة الافراد على ابراز مواهبهم الشخصية والى جعلهم لا يشتغلون الا للبحث عن اسرار الطبيعة ومحاسنها وكنوزها . ففي هذه الاقطار يرمي التعليم الى تقوية الجسد والروح تنمية حرة تربيهما تربية كاملة تؤهل الشاب لرسالته البشرية وتجعله شاعرا بكل ما في الحياة من متاعب وافراح

واما فرنسا فلا يتلقى فيها الشبان تربية عملية بل تعليما نظريا مجردا ينجب علماء يحملون شهادات ويلازمون مكاتبهم او كلياتهم او مخابرهم العلمية لكنهم لا يهتدون السبيل في الحياة العملية اذ لم تدربهم الكتب والمجلات على اداء رسالتهم الانسانية . وهذا تعليم لا يثقف الطبع ولا الجسم بل يثقف الفكر فقط ولا يتطلب من نشاط التلميذ الا الاصغا والحفظ مما يجعله « حمارا يحمل اسفارا »

وقد ادرك اليوم اساتذة فن التعليم وجوب وقوع انقلاب كلي في التدريس . وصارت رغبتهم ان لا تبقى غايته جعل التلامذة والطلبة بغالا يركضون في حلبة الامتحانات والمناظرات وراوا انه وجب الآن الانصراف عن حشو الادمغة بالعلوم حشوا يكسب العقول بلادة . وقد اصاب الاستاذ هازليت Hazlitt حيث قال « من ارتقى درجة فدرجة الى قمة التربية المطلقة مع الاحتفاظ ببصيرته يصح ان يقال فيه انه افلت من خطر عظيم » وقد بين جول بايو (Jules Payot) - وكان عميد جامعة - في رسالته الهجائية المشهورة التي عنوانها « اخفاق التعليم » كيف تؤدي هذه الطريقة الى نتائج وخيمة جدا وخاصة خنق الشخصية

وكأن الانقلوسكسون ولا سيما الامريكان قد ظفروا بالاسلوب الناجع في التربية فالتعليم عندهم يصير ابتداء من درجة معينة تدريبا على العمل الشخصي الذي يمكنك من ممارسة المصاعب الواقعية ومن لذة التغلب عليها . وقد كان هذا العمل الشخصي الذي يراقبه الاساتذة ويهدونه احسن عامل على توسيع نطاق البحث في جميع الميادين التي لها علاقة بحياة القطر . وجامعة كاليفورنيا (Californie) مثل بليغ لهذا التعليم المحسوس ولتعاون الاساتذة والطلبة . فاذا اراد استاذ الجغرافية مثلا ان يصف للامذة سلسلة « الجبال الصخرية » ركب صحبتهم متن طائرة وذهب بهم فوق تلك الجهة فاذا الخرائط ناطقة حية واذا لونها الاخضر الذي لا معنى له في نظر غالب التلامذة يصبح عند الناظرين من هناك « المدرسة الطائرة » رداء قاتما من غابات تنفخ فيها الرياح . ويصير الخط الازرق الضئيل نهرا صخبا وثابا . ولا يمكن البحث في مسالة من المسائل بحثا عميقا الا بهذه الطريقة المباشرة . لذلك نرى جميع من ارادوا درس بعض المشاكل لا يتبعون غيرها . فالماجور أتلي (Major Attlee) رئيس الحكومة البريطانية الآن لما اراد درس المشاكل الاجتماعية التي تهم العمال ذهب فانتصب وعاش في افقر احياء لندرة سنين طوالا . واراد ليوبولد (Léopold) احد قدماء ملوك البلجيك ان يطلع على عيش العمال بالكونغو (Congo) - وكان اذاك ولي العهد فتنكر واخذ يعمل معهم كانه اجير بالمدينة التي سميت فيما بعد باسمه . واراد اندري فليب (André Philip) النائب الاشتراكي الفرنسي ان يدرس المشكلة الهندية درسا جيدا فرحل الى بومباي وعاش مدة في معامل القطن مع العملة . وقد يقال ان هذا ليس بالتعليم ولا بالتربية بل هو بحث شخصي واطلاع . وهذا صحيح ولكنه لا يمكن ان ينكر انه من اللازم ان يكون الطالب قد اهله لهذا العمل الشخصي تعليم واقعي عملي ليس بعائق مع ذلك لنمو الخيال النافع للشبان

الا ان كل هذه المشاكل - مشاكل اساليب التعليم وتنظيمه وتوجيهه - ان صارت تشغل بال الحكومات الجديدة فان بلادنا التونسية كادت لا تشعر بها . اذ ان التعليم بتونس وكامل شمال افريقية لم يتجاوز مراحله الاولى ولم ينجب الا نخبة قليلة . فالمشكلة هنا اليوم مشكلة عدد المتعلمين (١) لا مشكلة منهاج التعليم . وهل يجوز التفكير في اصلاحات اساسية بينما ترفض المدارس من الاطفال المسلمين ما يتجاوز نسبة تسعين من المائة وذلك امثلة الواضح ؟ وهل يجوز التفكير في تغيير البرامج بينما يجوب شباننا الطرقات ؟ نحن لا نفكر في هذه المشاكل الا ويضيق صدرنا لاننا ندرك كل الادراك ان مستقبلنا كله يتوقف على حلها . فالذين يؤمون المدارس عندهم قليل جدا ولا يبلغ منهم الشهادة الابتدائية او يتجاوزها الا ما دون العشر . فكيف يجوز في هذه الحالة الحرجة التفكير من جديد في صبغة مدارس البادية وما الغرض منها الا ابعاد الاطفال عن الدراسة الابتدائية والقاؤهم في الاعمال اليدوية ؟ هل يرى من له النظر ان عدد المثقفين تكاثر في قطر ترفض مدارسه الابتدائية تسعة اعشار عدد اطفاله ؟ وهل يعد من احرز الشهادة الابتدائية مثقفا ؟ الحق ان التعليم في نظرنا مسالة حياة او فناء . وانا بذلك لجد شاعرين متالمين . لكن . . . لنتصرف عن هذه الحال المؤلمة الى وجه اعم من المسالة . فلو نظرنا الى التعليم من الناحية العالمية لراينا انه يمكنه بل يجب عليه ان يصير انجع حصون السلم بعد ان كان مصدرا من مصادر الحرب . فقد اسس الامريكان جمعية لانشاء معهد عالي يشتغل بمشاكل التربية وقال جايمس مرشال (James Marshall) صاحب كتاب « حق الحرية » في النشرة السنوية التي يصدرها المجمع الامريكي للعلوم السياسية والاجتماعية « ان اردنا ان تتحد الامم وتتمسك بالسلم فلا يجوز لنا ان نجهل مشكلة التربية العالمية . وحل هذه المشكلة يتوقف خاصة على التفاهم »

ان التعليم اهم وسائل التمدن وانفسها فينبغي ان لا يقتصر على تثقيف نخبة بل يجب ان يصير ديموقراطيا كي ينفذ الى جميع طبقات الامة ويجعلها شاعرة بكل واجباتها البشرية ويكون امتن ما بينها من الروابط وبذلك يزول استخدام التعليم للسيطرة على النفوس والضغط على حريتها لفائدة حكومة او نظام سياسي معين ويصبح غذاء للمواهب الشخصية يساعدها على الازدهار الحر ويبعثها على الانقطاع الى الاعمال السلمية .

اصبح العالم قلقا مترددا بين الياس والرجاء محتاجا الى قوة عظيمة ترد عليه ايمانه بالحياة وثقته بمستقبل الانسانية ولا يكون مبعث هذه القوة الا التعليم لان القوى الفكرية هي التي تستطيع وحدها اعادة بناء العالم كلما ادركه الدمار . ويكفينا دليلا على ذلك تألق نور الحضارة الاسلامية في ظلمة القرون الوسطى وقيام الكنيسة الرومانية باوروبا اثر تقوض امبراطورية الرومان

وخلاصة القول انا اذا نظرنا الى التعليم سواء من الناحية القومية او من الناحية الامية وجدناه اهم المشاكل العالمية الحاضرة .

صلاح الدين التلاتلي

استاذ التاريخ بمدرسة كارنو الثانوية

---

(١) انظر الاحصائيات التي ابتتناها في هذا الموضوع بعددنا الخامس عشر (انظر الانباء الادبية ص ٢ من العدد المذكور)

الثرى وهو الاسد وغيره الجيف
غير اختيار رضيت برك بي
والجوع يرضي الاسود بالجيف

هاته الروح الصاخبة العاتية التي التهم بها كل ما حوله واخمل بها ذكر الشعراء وقضى على سمعتهم لم تفارقه في اي باب من ابواب الشعر المعروفة في ذلك العصر . الا تراه يقول في باب العتاب قولا تسري فيه هذه الروح وتبدو واضحة جلية فيتهم ممدوحه بالقدح التهم محاولا ان يجعل منه اقل شخص في الوجود فيقول له في سخرية وتلهف :

اصادق نفس المرء من قبل جسمه
واعرفها من فعله والتكلم
وما كل هاو للجميل بفاعل
ولا كل فعال له بمتمم

ثم يقسو ويخرج عن حدود الاداب في الخطاب فيقول في هذا الباب :

الم تغلط الايام بي ان ارى
بغيضا تنائي او حبيبا تقرب

وهيهات ان ينسى ذلك حتى في ابواب الرثاء فاذا رثى تغلبت روحه وخرجت من مقام الحزن والالم والبكاء والنحيب الى التجبر والترفع فاذا هو يقول في القصيدة التي يرثي بها جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد
لكان اباك الضخم انك لي اما
يقولون لي ما انت في كل بلدة
وما تبتغي ؟ ما ابتغي جل ان يسمى
كان بنيهم عالمون بانني
جاوب اليهم من معادنه اليتما
وما الجمع بين الماء والنار في يدي
باصعب من ان اجمع الجد والفهما

فهاته الروح التي لم تفارقه في اي موقف من مواقفه وفي اي قصيد من شعره توقفل بها قمة الدهر واخذ يغرد والدنيا تسمع له

(البقية على صفحة ١١)